نزهة الأنام

في

قصة يوسف الصديق عليه السلام

أولها نثراً

جمع وترتيب

إبراهيم محمد عبيد

وثانيها نظماً للشاعر

الشيخ يحي بن يوسف الصرصري

تطلب من

الحاج لطف بن عبد الله عمرو

صنعاء - سوق البز - اليمن

دار الزاهراء للطباعة والنشر بالقاهرة ت : ٩٠٧٩٨٢



(وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما يثبت به فؤاك
وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين)
(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى رفع بقدرته من اصطفاه من أنبيائه . وكاشف بفضله النازلات رحمة بعباده وأوليائه . أحمده على إسبال ستره الجميل وأعوذ به من وبال مكروه الوبيل . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ماحية للذنوب . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيراً .

أما بعد : لما اطلعت على قصة سيدنا يوسف الصديق للشاعر الشيخ يحيي بن يوسف الصرصرى فأعجبتنى أبياتها ، وعددها ما يزيد على سبعمائة بيت كما وجدتها قديمة جداً وغير موجودة بطرفنا أخذت على عاتق نقلها وطبعها طبعاً متقناً يتفق مع عصرنا هذا .

وإكمالا للفائدة وضعت قصة مماثلة لها نثراً .

وسميتهما نزهة الأنام فى قصة سيدنا يوسف الصديق عليه السلام ليتسنى للقارىء الكريم أن يقرأ حسبما يريد نثرا أو نظماً لتكمل الفائدة ، هذا وأبتهل إلى الله عز وجل أن يجعلهما خالصتين له وأن ينفع بهما كل من يطلع عليهما .

والله ولى التوفيق ؟

أيهـــا المواطن العزيز :

إن بالمكتبة الوطنية بالبحرين المطبوعات الجديدة التى تصدر فى مصر وسوريا ولبنان والعراق والهند وغيرها شهرياً وأسبوعياً وكذلك بها أنواع المجلات الأسبوعية والشهرية كالمصور والاثنين والكواكب والهلال وروايات الهلال وكتاب الهلال والأزهر ولواء الإسلام والعالم العربى والعالم والأديب والآداب والفن والجيل الجديد وأخبار اليوم وآخر ساعة والسندباد وعلى بابا والوعى واقرأ وقصص للجميع وكتب للجميع وروايات اليوم وكتب اليوم وقصص الجيب . وروز اليوسف . والأنباء الجديدة . والجندى والدنيا وكتاب الشهر . والوعد . والكشاف وصوت البحرين والحفيلة. والقافلة. وروايات شهر زاد . وأرسين لوبين. وروايات الجيب . وطرزان . والبوليس السرى . والمغامرات . وغيرها من المجلات الجديدة الحديثة : أما المفكرات الكبيرة والصغيرة وأجنده . ونتائج الحائط أنواع متنوعة والأغانى الشهرية ومختارات صناديقى وصور الملوك والزعماء الخ .

أما الكتب التاريخية والأدبية وغيرها أنواع متنوعة وكل من يشرف يجد ما يسره .

يوسف عليه السلام

هو يوسف بن يعقوب — إسرائيل الله — ابن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام ،

أولاد يعقوب عليه السلام

كان ليعقوب من الولد اثنا عشر ولداً ذكراً وهم : (١) رأوبين بكر يعقوب (٢) شمعون (٣) لاوى (٤) يهوذا (٥) ويساكر (٦) زبولون - من بنت خاله لابان (٧) يوسف (٨) بنيامين من راحيل بنت خاله لابان (٩) دان (١٠) نفتالى - من بلهها جارية راحيل (١١) جاد (١٢) أشير من زلفا جارية ليئة .

يوسف عند أبيه

كان يوسف جميل الصورة أثيراً عند أبيه يخصه بقسط عظيم من محبته ، وكان ذلك سبباً فى حقد أخوته عليه ، وسبباً فى محنته التى كانت خيراً وبركة عليه وعلى الأمم المجاورة إلى مصر وعلى مصر خاصة .

وكان يوسف وأخوه بنيامين أصغرهم ، وكان يعقوب يحب يوسف حباً عظيما أكثر من أخوته ، ويظهر هذا الحب على لسان يعقوب فيغار منه أخوته .

وفى ذات ليلة دخل يوسف فى فراشه ونام نوماً هادئاً فرأى حلماً عجيباً ، فلما قام من نومه بادر إلى أبيه يعقوب مشرق الوجه ، ضاحك السن منبسط الأسارير .

قال يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين قص هذه الرؤيا على والده وكان فى غيبة أخوته .

فتهلل وجه يعقوب وأشرق جبينه ، ووضح البشر بين عينيه ، وقال : يا بنى إنها رؤيا صادقة ، إنها بشرى بما سيخصك به الله من علم :

ثم أطرق يعقوب برهة من الزمن يفكر فى حلم يوسف فأذهله هذا الحلم فعرف أن الله سيجعله عظيما فى الدنيا والآخرة ، وسيرفع قدره ويعلى شأنه وكان يعلم أن أخوة يوسف يغارون منه خاف أن تدفعهم الغيرة إلى أن يؤذوه ، قال له :

(يا بنى لا تقصص رؤياك على أخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين) .

وسكت يعقوب قليلا ثم قال ليوسف إن رؤياك يا بنى عظيمة جداً وإنى أنصحك أن تكتمها عن أخوتك فإذا كتمتها يخصك ربك برحمته ويعلمك تفسير الأحلام ويتم نعمته عليك وينال آل يعقوب على يدك وبسببك الخير الكثير : (وسيجعلك الله عظيما ويعطيك النبوة كما أعطاها أبويك من قبل ابراهيم واسحاق) واستمر يعقوب يكلم يوسف وينصحه ويحثه على كتم الرؤيا التى قصها عليه .

ويوسف يسمع من والده ويفكر فى هذا الحلم العجيب .

كان يعقوب يخص يوسف وأخاه بنيامين بالعطف والحنان .

ولم تخف على أخوة يوسف منزلته ومنزلة أخيه عند يعقوب وإن تحوط فى الكتمان ، وتظاهر بحب الجميع ، فسرى إليهم داء الحسد ونبتت فى صدورهم آكلة الأكباد ، وهاجت الغيرة وثار الحقد ، واجتمعوا فى دار واحد يتشاورون فيما يصنعون ، فقال أحدهم إن أبانا يحب يوسف وأخاه بنيامين أكثر منا وقال آخر فى غيظ وحقد إننا جماعة وإننا أحق بالمحبة والعطف من يوسف وأخيه وقال ثالث : ألسنا أشد منهما قوة وأكثر حنكة ألسنا القائمين على مصالحه ، الدائبين على خدمته ، فلماذا يخصهما دوننا بهذا الحب .

قال يهوذا وكان أشدهم رأيا وأرجحهم حلماً . أبعدوه إلى أرض لا يرجع منها أبداً فيبقى لنا وحدنا عطف والدنا ومحبته ، ثم بعد ذلك نتوب من هذه الفعلة ، ونصبح ناسكين صالحين ، فوافقوا بالإجماع على هذا الرأى فقال أحدهم : إذاً فلنقتله لنستريح منه . وقال آخر : وقد أخذه العطف والحنان والرحمة ، لا تقتلوا يوسف ، وألقوه فى غيابة الجب لعل أحد المارة والمسافرين ، يلتقطه فنستريح منه فصاحوا جميعاً هذا هو الرأى السديد وسوف نكلم أبانا عنه صباحاً .

فاستجابوا لهذا الرأى وبيتوا أمرهم على هذا العزم .

ولما أصبح الصباح ذهبوا إلى أبيهم والهوى يزين لهم ما يصنعون والشيطان يحفزهم وهم يمكرون .

فذهبوا إلى أبيهم فوجدوه يلاعب يوسف ، فقال له أحدهم : يا أبانا مالك لا تدع يوسف يذهب معنا ، وهو أخونا وبضعة منا ونحن جميعا أبناؤك يظلنا عطفك ،

هلا ترسله معنا غداً إلى ظاهر البلد يرتع ويلعب وإنا له لحافظون ، فقال يعقوب : يا أولادى لا أطيق أن أفارقه ساعة واحدة ، فقالوا جميعاً : أرسله معنا غداً يلعب ويتمتع ويفرح فإنه هنا محبوس دائماً .

وقال يعقوب وقد حـذر العاقبة ، واشفق من وقوع المكروه (إنى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) فقالوا بلسان واحد (كيف يأكله الذئب ونحن كثيرون) لا تخف عليه شيئاً دع يوسف يخرج معنا ليتنزه ويلعب ونحن نحبه ونحب أن يذهب معنا واستمروا يبذلون كل ما فى وسعهم من إغراء ورجاء وعطف ، حتى لان يعقوب ، فأرسل يوسف معهم فخرجوا من عنده هذا يرفعه وهذا يعظمه وهم بيوسف مسرورون فرحون ، إذ هذا كلما يتمنونه .

وقف الوالد يرى ولده يوسف وكأنما أحس أنها النظرة الأخيرة فقربه إليه وضمه إلى صدره ، وقال يابنى لا تبتعد عن أخوتك كما أوصاهم به ، فرح الأولاد ، وخرج يوسف معهم ، وما غابوا عن عين أبيهم حتى أخذوا يشتمون يوسف ويهينونه وهو يستعيذ ويبكى وليس له معين ولا ناصر ، وساروا به حتى إذا وصلوا البئر أخذوا من يوسف قميصه الذى على جسمه ودلوه فى البئر وذهبوا إلى أبيهم عشاء يبكون ، قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا ، وكنا فى النضال بالسهام والجرى وراء الغزلان فابتعدنا عن يوسف ، فأكله الذئب ، وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين .

أطرق يعقوب إلى الأرض وبيده قميص ولده يوسف يفكر ساعة من الزمن وأولاده وقوف بجانبه وقد تحيروا فى أمرهم وآثار الارتباك على وجوههم ثم رفع رأسه إلى أولاده وقال لهم : ما أحلم هذا الذئب الذى افترس ولدى يوسف ، ولم يمزق عليه قميصه ولم يعمل فى قميصه ناباً ولا ظفراً ، ثم قال لهم بلسان فصيح : (بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) .

يوسف فى الجب

يوسف الآن فى الجب يحتويه ظلامه ، ويشتمله سكونه ، محنة يمتحن بها ، هذا الفتى الكريم ، والله يمتحن المخلصين من عباده بأنواع المصائب ويفتنهم بضروب الآلام ، ليكونوا أقدر احتمالا على ما يلقى عليهم من أمهات الأمور وعظامها .

كانت قافلة قادمة من الشام ذاهبة إلى مصر محملة بأنواع البضائع واحتاجوا إلى الراحة وإلى الماء ، وتذكروا أن هناك بئراً وفيه ماء عذب سائغ للشاربين ، ومرت القافلة بالبئر الذى فيه يوسف الصديق ، وذهب أحدهم يحضر الماء فلما أدلى الرجل دلوه ورآه يوسف فتعلق به ، وما راع الرجل إلا غلام متعلق بالحبل ، وجهه كأنه فلقة قمر فصاح بأعلى صوته يا بشرى هذا غلام فاجتمع القوم — وأخذتهم الدهشة ثم أجمعوا رأيهم على أن يتخذوه غلاما يبيعونه بمصر كما يباع الرقيق ، ولم يشعروا إلا بإخوة يوسف مجتمعين وقالوا غلامنا أبق منا ثم باعه إخوته من رئيس القافلة وهو عربى بدوى واسمه مالك بن دعر الخزاعى بثمن بخس دراهم معدودة وهى عشرون درهما ، واشترطوا عليه أن يوثقه بأشد الوثائق ويقيده بقيد حتى يأتى مصر .

وسافر التجار حتى وصلوا إلى مصر . فذهب الرجل بيوسف إلى سوق الرقيق ليبيعه ويقبض ثمنه .

(يوسف عند العزيز)

وصدفة كان فى السوق وزير مصر . فلما رأى يوسف أعجب به فتقدم واشتراه بدراهم قليلة معدودة وعاد الوزير إلى بيته ومعه يوسف الصديق فلما دخل على زوجته فرحت بالغلام فرحاً شديداً لأنها لم يكن لها أولاد . وقال لها الوزير . أحسنى إليه وأكرمى مثواه لعل الله أن يكرمنا به . لعله ينفعنا إذا كبر . وإنى أعتقد أن هذا الغلام من أنجب الغلمان طيباً وذكاء فإنى جعلته إبنا لنا .

وانصرف يوسف إلى العمل فى بيت العزيز فى جد وأمانة وإخلاص ولقى فيهم أهلا بأهل وجيرانا بجيران . وأحاطه العزيز بعطفه وعنايته ومرت السنون والأعوام وكبر الصديق حتى شب فكان رائع الحسن والجمال جميل الصورة ، لا يشابهه نظير ، رأت امرأت العزيز جمال يوسف فراعها ذلك ، وفتنها فأخذت تراقبه فى غدوه ورواحه وتلاحقه فى قيامه وقعوده ، وفى يقظته ومنامه وطعامه وشرابه ، وحركته وسكونه ، وبدأت لها محاسنه الخفية ، وشعرت أن حبه يبيت فى قلبها ، وينبض فى عروقها ، ويجرى مع أنفاسها فوسوست به فى خلواتها وتمنته ، وللحسان تمن فى لياليها .

يوسف وامرأة العزيز

وفى ذات يوم لبست امرأة العزيز أحسن ثيابها وتزينت بأجل زينتها، وتعطرت، وأقبلت تتهادى فى مشيتها بعد أن أمنت أن ليس فى الدار غيرهما ، دخلت على يوسف وأغلقت الباب خلفها : واقتربت منه وأرادت أن تظهر له حبها .

فقالت له أنا لك أيها الصديق وملك يديك ، ونظر يوسف إلى جمالها ، ولكنه أعرض عن تلويحها وتلميحها ، وغض بصره عن محاسنها حياء وعفة ، وتذكر ربه الذى خلصه من كيد إخوته ونجاه من الجب وهو الكريم ابن الكريم .

فقال بلسان فصيح رن فى أذنها ، معاذ الله زوجه سيدى وقد أكرمنى ، وأحسن إلى فلا أسيء إليه ولا أعصى ربى الذى أنقذنى فتقدمت نحوه فألحت عليه ، فأجابها معاذ الله أن أجيبك إلى ما تريدين أو أذعن إلى ما تطلبين ، وحاشاى أن أخون مولاى ، الذى أحسن مثواى ، وأكرم مأواى ، وما أنا بمنكر للنعمة ولا بجاحد للجميل ، إن كنت قد غلقت الأبواب ، وأسدلت الحجب فإن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور وحاشاى أن تطاوعنى نفسى لمعصيته أو أن يستجيب قلبى إلى ما فيه غضبه إنه لا يفلح الظالمون .

ونودى من الله عز وجل يا يوسف إنك مكتوب فى ديوان الأنبياء وتعمل عمل السفهاء وكذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين .

وذهب يوسف إلى الباب مسرعاً ليفتحه ويخرج منه لينجو بنفسه ، فأسرعت إليه تشده إليها ، فأمسكت بقميصه فانشق من الخلف .

فحين إذ هاج هائجها . فهمت به بطشاً ، وأرادت به سوءاً ، انتقاماً لعزتها ، وجبروتها وكيف تعصى وهى الآمرة الناهية إن هذا لشيء عجيب ، وما انتهى إلى الباب ليفتحه حتى رأى العزيز أمامه واقفاً فلما رأت زوجة العزيز ، زوجها واقفاً ، اندهشت فقالت إن يوسف لم يرع حرمتك ، ولم يحفظ يدك ، فراودنى عن نفسى وأراد بى سوءاً ، وأن جزاءه السجن أو العذاب الأليم .

فلم يجد يوسف فى ذلك الموقف ملجأ إلا الصراحة فى القول والاعتراف بالواقع، فقال مدافعاً عن نفسه إنها هى التى عرضت نفسها على وجذبت ثوبى العفيف إليها ،

وهذا القميص شاهد على صدق قولى ، وغضب الوزير غضباً شديداً إذ لم يتوقع أن يصدر هذا من يوسف .

وفيما هم وقوف كل منهم مرتبك فى أمره ، دخل رجل قريب هو ابن عمها ، وكان فطناً لبيباً عاقلا ذكياً فسمع القصة من أطرافها وفطن لما وراءها ، فقال إن كان قميص يوسف شق من أمام فهى صادقة وهو من الكاذبين ، وإذا كان قميصه شق من خلف فهو صادق فيما إدعاه وهى من الكاذبين . فنظر العزيز إلى قميص يوسف فوجده شق من خلف وظهرت براءة يوسف .

فغضب العزيز وقال لها إن هذا من كيد النساء ومكرهن فاستغفرى لذنبك ، إنك كنت من الخاطئين .

ونظر العزيز إلى يوسف وقال له . لا تذكر ما حصل لأحد ، وأمره بكتمان الخبر كما أمرها بالاستغفار لذنبها وصرح لها بأنها خاطئة لأن الله يغفر الذنوب كلها إذا علم من عبده التوبة وأن لا يرجع إلى المعصية (خبر يوسف فى المدينة وتحدث النساء به) شاع نبأ حادثة امرأة العزيز وفتاها فى أرجاء المدينة وعلى ألسنة النسوة بين جنبات القصور ، أن امرأة العزيز قد افتتنت بغلامها يوسف ووقعت فى غرامه ، واستهامت بجماله ، وقلن إن امرأة العزيز تعرض نفسها على يوسف إنها امرأة سيئة .

وأخذت تلك المقالة تشيع وتتشعب ، وتتخذ لها ألواناً وأشكالا حتى انتهت إلى امرأة العزيز وسمعت بما يتحدثن عنها وعن يوسف فغضبت وأرادت أن تظهر لهن عذرها فأرسلت إليهن لجمعتهن فى منزلها وقدمت لهن تفاحا وفواكه عديدة ، وآتت كل واحدة منهن سكينا وفى تلك اللحظة أمرت الصديق أن يخرج عليهن فخرج يوسف وهو أحسن من البدر ومشى بين صفوفهن ، فشاهدن فتى لا كالفتيان وشاباً لا كالشبان ، حلو الملامح فبهرهن جماله ، وألهاهن عن أن يحسن قطع الفاكهة التى بأيديهن وشغلن بمطالعة محاسن خلقه والتأمل فى جماله ، وجعلن يحززن فى أيديهن بالسكاكين بدلا من الفاكهة ولم يشعرن بالجراح لهول ما رأين ، فأعلن إكبارهن لذلك الحال الخارق ، وقلن بلسان واحد ، ما شاء الله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ، فلما رأت امرأة العزيز ما حصل بالنسوة جميعاً لم تتمالك فباحت امرأة العزيز لهن بما يجنه فؤادها من اللوعة وقالت لهن كما يشكو العاشق بلواه لعاشق مثله .

فذلكن الذى لمتننى فيه ؛ وقد طلبته لنفسى فامتنع ولئن لم يفعل ما آمره به ليسجنن وليكونا من الصاغرين ، فقالت له جميع النسوة .

لماذا لا تسمع لسيدتك أيها الفتى الكريم ، وما هذا التمنع والدلال ألم تر إلى جمالها ، الست تنظر إلى حسنها الباهر ؟ ألست تخشى ما توعدك به من سجن لا يعلم مداه ، أو عذاب لا تدرك غايته أو منتهاه .

فقال يوسف لهن ، رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه .

وامتنع يوسف عن أن يطيع كلام سيدته ولو قطع قطعاً عديدة لأنه كان يخاف الله ويتقيه ، فلم يتركه الله بل حفظه ووقاه .

ولما فشت القالة بالمدينة دبرت له امرأة العزيز مكيدة عند زوجها ، وقالت له إن جميع النساء فى كل مكان يتحدثن عنى وعن يوسف حديثاً رديئاً ويقلن كلاماً مؤذيا فيجب أن يدخل السجن ، حتى يعرف الناس أن يوسف هو المذنب وأنه المعتدى ، فانقاد العزيز لقولها ، وصدع لأمرها ودفع يوسف إلى السجن بريئاً من ذنبه ، كما كان الذئب بريئاً من دمه فدخل السجن لا كما يدخله مجرم قتل نفساً ، أو لص سرق متاعا بل دخله مظلوما ، فأسلم يوسف نفسه يرجو عدل السماء .

ودخل السجن معه فتيان ، من حاشية الملك ، ساقيه ، وخازن طعامه فتعرفا به فرأى كل منهما حلماً لم يعرفا له من تفسير .

فأسرعا إلى يوسف لعلهما يجدان عنده ما يفرج همومهما ويفسر حلمهما .

فقال الساقى : لقد رأيت فى منامى أنى أعصر عنبا وأصنع منه خمرا وأسقى الملك .

وقال خازن الملك : أما أنا فقد رأيت كأنى أحمل سلالا فيها أصناف الخبز والطعام وكأن سربا من الطير تأكل منه فهل لك أن تنبئنا بتأويل ما رأينا . إنا نراك من المحسنين

فقال لهما يوسف : مهما رأيتما من حلم فإنى أعبره لكما قبل وقوعه فيكون كما أقول وهذا من فضل ربى على لأنى مؤمن به موحد له متبع ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء يا صاحبى السجن أيهما أفضل : أرباب كثيرون متفرقون لا يستطيعون نفعا ولا ضرا ، أو إله واحد عظيم قادر .

والله أمرنا أن نعبده وحده لا نشرك به شيئاً .

يا صاحبى السجن أما أحدكما الساقى فيسقى ربه (يعنى سيده) خمراً .

وأما الآخر وهو خازن طعام الملك فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذى فيه تستفتيان وعرف يوسف أن ساقى الملك هو الذى سينجو من السجن .

فقالوا له : أذكر أمرى وما أنا فيه من ضيق فى السجن دون ذنب جنيته أو إثم ارتكبته عند الملك ، فلبث فى السجن بضع سنين .

وفى الصباح الباكر خرج ساقى الملك من السجن .

وصلب خازن طعام الملك كما ذكر يوسف الصديق .

ولكن الساقى نسى أن يذكر شيئا للملك من أمر يوسف فبقى فى السجن بضع سنين عدة سنين .

الفرج عن نفسه

وفى ذات ليلة نام الملك نوما عميقا هادئا ، فرأى فى نومه أنه جالس على شاطىء النهر وقد خرجت منه سبع بقرات سمينة ثم خرجت بعدها سبع بقرات هزيلة ، قبيحات المنظر عجافا خرجت من النهر وأقبلن بسرعة عجيبة وتوجهن إلى البقرات السمينات فأكلتهن بسرعـــة ثم هب فرعون من نومه فزعا مرعوبا يفكر فى تلك الرؤيا وطال به التفكير ثم نام فرأى سبع سنبلات خضر تأكلها سبع سنبلات يابسات فقام من نومه خائفا من هذا الحلم الذى أزعجه وفى الصباح الباكر جمع الملك السحرة ، والعلماء العارفين من جميع المملكة وقص عليهم ما رآه فى حلمه مفصلا له ذلك الحـــلم .

فنظر بعضهم إلى بعض ، وقالوا بلسان واحد أيها الملك إننا لا نستطيع أن نفسر لك هذا الحلم ولكن أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ، فقال لهم الملك إذاً ما العمل وما الذى تشيرون به على ، فى ذلك الوقت انتبه رئيس سقاة الملك وتذكر يوسف الصديق .

فقال أيها الملك : إن بالسجن فتى كريما صائب الفكر يعبر الرؤيا تعبيراً صحيحا صادقا فيما يقول ، فأرسلنى إليه فسوف أحمل لك العلم اليقين .

فقال الملك لساقيه ، من هو هذا الفتى الكريم .

قال هو يوسف الصديق .

يوسف والرؤيا

إذن انطلق له وائتنا بخبره فنحن فى انتظارك واسرع .

إنطلق الساقى إلى يوسف فلما التقى بيوسف قال له أيها الصديق أفتنا ، أى أخبرنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون ، فقال له يوسف ، ستأتى سبع سنوات يكثر فيها الزرع والثمار أنواعا متنوعة، ثم يأتى بعدها سبع سنين يقل فيها الزرع والثمار والخضر فتصبح الأرض قاحلة ليس فيها زرع ولا خضر .

فعليكم أن تبادروا وتزرعوا باجتهاد سبع سنوات فإذا حصدتم القمح فاتركوه فى سنبلة إلا القمح الذى تحتاجون إليه لتأكلوه .

فإذا جاءت السنون التى لا زرع فيها أكلتم مما ادخرتم فى سنوات الرخاء ثم تأتى بعد ذلك سنة يعصر الناس فيها العنب والقصب والسمسم فتشبعون وتتمتعون .

ولما وصل إلى الملك هذا التعبير ، وفطن لذلك النصح والتدبير أدرك أن وراء هذا الفتى عقلا وعلما ، لانقاذ بلاده من الجوع وأعجب الملك بما قال ، وأرسل ساقيه إلى يوسف وأمره أن يحضره ليكون من أصحابه ، فلم يقبل يوسف أن يذهب فورا للملك من أول الأمر .

فقال : ارجع إلى الملك وقل له ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن إن ربى بكيدهن عليم .

ليظهر أمرى قبل أن أغادر السجن ويعرف الملك قضيتى قبل أن يفصل فيها بالعفو على ويسألهن عن حقيقة ما حدث منى ليعلم أنى برىء مما نسب إلى ، فهم الملك أمر يوسف وشغل باله ذكر النسوة ، فأرسل الملك إلى النسوة وسألهن عن قصة يوسف فقال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه فما وجدن للإنكار سبيلا إلى قلوبهن ، وما استطعن الكذب أن يسبق إلى ألسنتهن ، بل صرحن بمحض الحق فقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء ، وما خبرنا فيه إلا فتى عفيفا كريما ، نزيها أمينا غير متهم ، ورأت امرأة العزيز أن الحق قد ظهر ، فقالت الآن حصحص الحق ، أنا طلبته لنفسى فقد كان فتى وسيما جميلا وضيئا عفيفا زكيا نقيا ولكنه امتنع إنه برىء وإنه حبس ظلما وإنى أخبركم الآن أنه أعف من رأيت نفسا وأزكى من شهدت قلبا .

فلما علم الملك ذلك وعرف ، أن يوسف رجل زكى وأمين .

ورأى أن يستفيد من علمه وحكمته وأمانته .

فقال ائتونى به فوراً (يوسف بحضرة الملك) .

فقال له إنك اليوم معزز مكرم ، فقال له يوسف اجعلنى على خزائن الأرض وما تخرج منها من الغلات والخيرات إنى حفيظ بما فى يدى عليم .

لأن البلاد مقبلة على رخاء سبع سنوات كاملات ثم سبع أخرى جدب فاجعلنى على خزائن الدولة لأنى أمين على ما تحت يدى أصرفه فى الصواب وأحفظ الباقى لأيام الشدة لأنها مقبلة عن قريب .

ولى يوسف الأمر فى مصر سبع سنوات جاد فيها النيل وزادت الخيرات ونمت الثمار وأصبح يوسف وزيراً للملك وأصبح كل شىء فى يده فعدل بين الرعية، وواسى بينهم بالعدل والانصاف ، فأحبته الرعية .

ومرت سنوات الرخاء بسرعة وجاءت سنوات الشدة والجوع .

فأخذ يوسف يوزع على الناس من القمح الذى خزنه فى أيام الرخاء وأحست البلاد بالشدة فكان الناس يأتون إليه من البلاد المجاورة لمصر،وسطع ذكر يوسف فى البلاد وجاؤا ليأخذوا حاجتهم منه وكان يقضى حوائجهم بقسطاس مستقيم ،لا يفرق بين شعب وشعب أو قطر وقطر أو غنى وفقير أو رفيع ووضيع الكل على سواء .

علم يعقوب أن بمصر ملكا كريما شاع ذكره وعلا شأنه فقال يوما لبنيه وقد اجتمعوا حوله إن الجدب قد عمنا ، والقحط يكاد يأتى علينا ، فهلم شدوا رحالكم ، واعملوا فى السير نياقكم واقصدوا هذا العزيز الذى حملت الينا الركبان أخباره وتناقل الناس أحاديثه ، وطبق اسمه السهل والجبل . والبدو والحضر ولكن اتركوا أخاكم بنيامين اتعزى ببقائه عن فراقكم ، وأتونى بأخباره أولا بأول ، وكونوا على حذر ، (أخوة يوسف فى مصر للطعام) .

فشد الأخوة الرحيل جادين السير ليل نهار حتى وصلوا إلى مصر واستأذن الحاجب على يوسف فقال له إن بالباب عشرة رجال تتشابه معارفهم ويلمع نور الصلاح فى وجوههم وكأنهم غرباء عن هذه الديار أوضيوف على هذه الأقطار، عرفتهم من لغاتهم.

فأذن لهم الملك بالدخول عليه (إخوة يوسف فى مصر) .

فإذا هم إخوته وبنو أبيه لم تغير ملامحهم السنون .

فعرفهم وهم له منكرون ، فما كانوا يحسبون أن يوسف يصبح وزيراً وملكاً على مصر فسألهم يوسف كم عددكم ، فقالوا أيها العزيز نحن اثنا عشر أخا سلالة نبي كريم ، ورسول عظيم . عشرة منهم هم رسله الآن بين يديك وآمالهم منتهية إليك ذهب منا واحد منذ سنين فقدناه وأصغرنا عند أبينا أبقيناه يقوم على أمره ويسهر على رعايته ،

فقال لهم يوسف قد يكون حقا ما تقولون ، أقيموا عندي البينة وائتوني بشاهد حتى اطمئن لحالكم وصحة أقوالكم فاني مرتاب بأمركم فأكرمهم وأطعمهم ثم قال لهم اذهبوا فأتوني بأخيكم معكم لأعطيكم ما طلبتم فإذا لم تأتوني به فليس لكم عطاء عندي ،

فقالوا أيها العزيز ما نظن أن أبانا يأذن بسفره ، أو يصبر على فراقه ، ولكننا سنراوده عنه ونتلطف إليه ، وسنجتهد في مجيئه معنا وإنا لفاعلون .

وذهبوا يستعدون للعودة إلى ديارهم ، فأمر يوسف غلمانه أن يدفعوا لهم الكيل وأن يدسوا لهم في رحالهم البضاعة التي حملوها ، والفضة التي جاءوا يبتاعون بها ليكون ذلك أدعى لرجوعهم وأمكن لعودتهم .

ورحلوا عن مصر جادين السير إلى ديارهم يحملون عن هذا العزيز أطيب الذكريات واعذبها وأحلاها (إخوة يوسف عند أبيهم يعقوب) .

فلما وصلوا إلى ديارهم تلقاهم يعقوب وأخذوا يقصون عليه أخبارهم وما لاقوه من حفاوة عند العزيز ثم قالوا يا أبانا ، إنا لقينا رجلا عظيما ووزيراً كريماً ذا هيبة ووقار ، عرف فضلنا واكرم وفدنا ووفى لنا الكيل وأنزلنا خير منزل وصار يحادثنا وفي خلال الحديث ، أخذ علينا عهداً وشرط شرطاً ألا يكيل لنا من بعد هذا حتى نأتيه بأخينا ، يخبره بحقيقة حالنا ، إذ أنه شك في أمرنا وداخله الريب في رحلتنا ، وهذه بضاعتنا ردت الينا ، فارسله معنا ليكون معينا لنا على الكيل ومساعداً لنا على العطاء ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير ، كان يعقوب يسمع من أولاده أخبار العزيز وهو مطرق الرأس منصت لحديثهم فرفع يعقوب رأسه وقال لأولاده لن آذن لكم بسفره ولن أستريح لفراقه فإن فراق أخيه يوسف تجدد يوما بعد يوم ، فهل ترونني آمنكم عليه إلا كما آمنتكم على أخيه من قبل فاصرفوا عني كيدكم وكفوا عني شركم .

ثم أخذ أولاد يعقوب يفتحون متاعهم ، وفتشوا رحالهم وكان يعقوب بالقرب منهم فإذا بضاعتهم كاملة قد ردت إليهم ، وفضتهم قد عادت معهم ، فأسرعوا إلى أبيهم مسرعين وتحدثوا إليه مسرورين .

وقالوا ياأبانا ، ما كذبناك بما زعمنا لك من أن العزيز يريد أخانا وإنا لصادقون ، فأرسل معنا أخانا ، وسنفديه بأرواحنا ، ولن يمسه سوء ونحن فى قيد الحياة ، رأى يعقوب أن حاجتهم إلى الميرة ماسة ورغبتهم فى الرحلة إلى مصر أكيدة ، وأنهم قد حلفوا إلى يعقوب أن يحافظوا على أخيهم ، ووكدوا الأيمـــان ، وقالوا والله على ما نقول وكيل ، فأسرعوا للذهاب إلى مصر ليحضروا منها الطعام .

لقاء يوسف بأخيه بنيامين

فقال لهم أبوهم لا تدخلوا المدينة من باب واحد ولـكن ادخلوها من أبواب متفرقة ، وسافروا قاصدين مصر ، حتى ألقوا عصاهم بساحة يوسف فدخلوا عليه ، ورأى يوسف أخاه بنيامين فحنا عليه ورق له ، ولـكنه أخفى عواطفه وستر ما فى نفسه ودعاهم إلى طعامه وأجلسهم مثنى وبقى أخوه وحيداً فبـكى وقال لو كان أخى يوسف حيا لجلس معى فرقرقت عينا يوسف على أخيه ، وضمه إلى صدره فأجلسه معه على مائدته ثم قال لهم لينزل كل اثنين منـكم داراً أعدها لهم ، وهذا لا ثانى له فيـكون معى .

فبات يوسف عند أخيه ثم نظر يوسف إلى أخيه بنيامين وقال له : أتحب أن أكون أخاك بدلا من أخيك الهالك ، فقال : من يجد أخاً مثلك ، ولـكن لم يلدك أبى يعقوب ولا أمى راحيل ، فبكى يوسف عند ذكر أبيه وأمه فقام حالا وعانق أخاه ، وقال أنا أخوك يوسف قد أبدلنى الله كما ترى ، نعما بعد بؤس ، وغنى بعد فقر وعزاً بعد ذل ، فاكتم عن أخوتك هذا الخبر ، واحجب عنهم هذا السر .

فسر بنيامين بلقاء أخيه بعد هذه الغيبة الطويلة وسكنت أحزانه وذهب همه ، وغدا يتقلب فى نعيم أخيه وعزه وينعم بكرمه وعطفه وانقضت أيام الضيافة ، وأجمع الركب على الرحيل فأراد يوسف أن يعمل لهم مكراً ويحدث بهم أمراً فأمر غلمانه يجهزونهم بجهازهم وأن يدسوا السقاية فى رحل أخيه (بنيامين) وبينما هم خارجون

ومودعون فرحين مسرورين ، إذ بمناد من قبل الملك جهير الصوت يناديهم ، أيها الركبان أنيخوا ركائبكم ، وأنزلوا متاعكم فما أنتم إلا سارقون .

فدهشوا وذهلوا وأقبلوا على المنادى يقولون ماذا ضاع منكم وأى شيء فقدتم قالوا سرقتم سقاية الملك الذى يشرب بها ويكيل بها للناس إذ رأيتموها غالية الثمن .

قال أخوة يوسف تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين ، قالوا فتشونا فما جئنا لنسرق . قال المنادى فما جزاء من وجدت معه .

قالوا جزاؤه أن تأخذوه أسيراً عندكم، عبداً لكم ذلك هو شرعنا وهذا هو عهدنا، وإنا على يقين من براءة ذمتنا وطهارة أعراقنا وطابت نفس يوسف لهذا العهد ، وقال لهم قد رضينا بقولكم وسوف نعمل بشرعكم وعهدكم ، فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم فتش متاع أخيه ، واستخرج منه سقاية الملك وأشهرها فى وجوههم ، فذهلوا ودهشوا وأطرقوا حياء وخجلا .

فقال لهم يوسف : عليكم بالشرط والعهد، ثم أخذ أخاه بنيامين جزاءاً على وجود السقاية فى متاعه ، فقال اخوته إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل، فعرف يوسف أنهم يقصدونه فقال لهم أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون .

فقالوا ليوسف أيها العزيز : إن له أبا شيخا كبيرا قد ناهز الثمانين سنة فخذ أحدنا مكانه ، لأن والدنا قد أخذ علينا عهداً أن نحافظ عليه ونرده إليه وها نحن عشرة رجال بين يدك خذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين ، وقال يوسف معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون .

ولما استحكم فيهم اليأس من قبول العزيز لشفاعتهم اجتمعوا يتشاورون بينهم فقال كبيرهم لقد حلفنا لأبينا أن نحافظ عليه ولا أستطيع أن أقابل أبى وأخونا ليس معنا فما نقول له اليوم وها نحن قد فقدنا أخانا وحنثنا بإيماننا . فقال أحدهم أن جرح يوسف فى كبد أبيكم لم يبرأ وإن دموعه لم تنقطع ونحن قد جنينا على يوسف بإلقائه فى الجب ثم بيعه وها نحن اليوم نجنى فى الثانية على أخيه بنيامين ، والله لن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين ، سأبقى هنا حتى أرد أخى أو يأذن لى أبى بالعودة ، فقالوا جميعاً ، وماذا نعمل نحن هنا فى مصر وقد علمت ما كان من أمر أخينا بنيامين .

فقال لهم يهوذا :

ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وقد أخذه العزيز ملك مصر وأبقاه عنده.

وذهب التسعة وخلفوا كبيرهم يهوذا فلما دخلوا على يعقوب لم يجد بنيامين ولم يجد يهوذا فيهم، فكأن طائراً طار من قلبه، أو قطعة انقطعت من كبده، فلما سألهم عن بنيامين ذكروا له ما حصل فلم يصدقهم وقال إن ابنى لا يسرق، ثم قال لهم بصوت حزين ما صنعتم بأخيكم وما فعلتم بأيمانكم، لقد فقدت يوسف من قبل، واليوم أفقد بنيامين وأفقد يهوذا إن هذا لشيء عجيب ؛ ثم قال عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم .

وتساورت يعقوب الهموم، وتشعبته الأحزان، وجدد حزنه على يوسف وأخيه ، وأخذ يبكي حتى فقد بصره[1] وما زال يبكي ولديه ويدمع ، حتى ابيضت عيناه من الحزن ، ؛ وكان يقول بصوت وجيع يا أسفاه على يوسف ، فقالوا له : ستظل تذكر يوسف وتبكي حتى تضعف أو تموت ، فالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً مريضاً مشرفاً على الهلاك أو تكون من الهالكين ، فقال لهم يا بنى لست أشكو إليكم ولا إلى أحد من الناس إنما أشكو إلى الله عز وجل ، وأعلم من الله ما لا تعلمون .

وإنى معتقد أن الله سيرحمنى ويخلصنى مما أنا فيه من الحزن .

يا بنى اذهبوا فى الأرض متحسسين عن يوسف وأخيه ، ولا تيئسوا من الفرج بعد الشدة ، لأنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون .

وهبطوا مصر مرة ثالثة ، وآمالهم بين الخيبة والرجاء لعل العزيز يحسن عليهم ووقفوا بين يدى العزيز ترهقهم الذلة والانكسار قالوا أيها العزيز ها قد رجعتنا الأيام إليك وأرادتنا أن نقف موقف الضراعة والاستكانة بين يديك وللأيام تقلبات وللدهر نكبات وقد جئناك ببضاعة مزجاة قليلة ، فتصدق علينا بردك أخانا بالصفح والكرم ، والعفو والغفران لأنك أهل للفضل والكرم وفضلك قد عمنا سابقا فإنك أهل لذلك فقال لهم يوسف، هل تذكرون ما فعلتم بيوسف وأخيه فنظروا إليه طويلا ثم نكسوا رؤوسهم إلى الأرض خجلا ثم قالوا أئنك لأنت يوسف لأنهم عرفوه بعلامة فى وجهه .

وما أسرع أن أجاب يوسف وأشار إلى بنيامين وكان بجانبه ، نعم أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا وذلك بسبب طاعتنا وبرنا لأبينا ومحبته الشديدة لنا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين فامتقعت ألوانهم ، واضطربت مشاعرهم وتلجلج

(١) كلام لم يفقد بصره .

الكلام بين ألسنتهم وتمنوا لو انشقت الأرض فابتلعتهم ، ويوسف كان أكرم نفساً من أن يطيل خوفهم فقال لهم يوسف لا تخافوا فلن أعاقبكم على ماكان منكم واليوم لا لوم عليكم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين .

وسألهم يوسف عن أبيه يعقوب فقالوا له لقد فقد بصره من كثرة البكاء عليك ، فلم يتمالك يوسف بل خلع قميصه وأعطاه لأخيه الذى كان قد قال لهم لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابة الجب ، وقال له أذهب بقميصى هذا فألقه على وجه أبى يأت بصيراً وآتونى بأهلكم أجمعين ليعيشوا هنا فى مصر فى هذا الرخاء العظيم .

ذهب يعقوب إلى مصلاه يوما مبكراً فصلى وذكر الله عز وجل ثم تذكر يوسف وأخاه ثم بكى ما شاء الله أن يبكى وفجأة هدأت ضلوعه وجفت دموعه .

أحس هذا يعقوب فصاح بملء قلبه وجوارحه بلسان طلق فصيح :

إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون .

لقد أخبرتكم مراراً بأنى أتوقع لقاء يوسف .

فنظر بعضهم إلى بعض متعجبين من أبيهم يعقوب .

وقالوا تالله إنك لفى ضلالك القديم .

ستعود إلى الوهم القديم (لقدمات يوسف من زمن بعيد وأكله الذئب من سنين عديدة) .

ولم يطل بيعقوب الانتظار حتى جاء البشير إلى يعقوب بسلامة يوسف وأخيه وألقى قميص يوسف على وجه يعقوب فارتد بصيراً وقرت عينه وبشر نفسه باللقاء (فقال لأولاده ألم أقل لكم إنى أعلم أن الله سيجمع شملى بيوسف ، وأعلم من الله مالا تعلمون) .

(قالوا يا أبانا استغفر لنا ربنا بالمغفرة والرضوان) .

قال يعقوب (لست أملك من أمركم شيئاً أو أستطيع لكم من عذاب الله دفعا ، ولكنى سوف أبتهل إذا جن الليل وأستغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم) .

ثم قال لهم يعقوب لا تنتظروا بنا طويلا كفانا هذه السنون الطوال أعدوا إبلكم أى مطاياكم وجمالكم وكونوا على أهبة الاستعداد وأجمعوا إرادتكم وهيا بنا إلى ساحة ولدى العزيز (فإنى لا أستطيع عنه صبرا) ورحل يعقوب وجميع أهله قاصدين إلى مصر وقبل أن يبلغها يعقوب (خرج يوسف للقاء والده يعقوب وأكرم مثواهم) وسار معهم حتى دخل مصر وقال لهم ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين .

دخل يوسف مصر وجلس على العرش فسجد له أبوه وأمه وإخوته تعظيما له في هذا الموقف الباهر ، والإكرام العظيم الذى أكرم الله به يوسف بعد ملاقاة الأهوال التى يلين لها الحجر الصلد من ائتمار أخوته به فلطمه فسلبه ثيابه فالقائه فى الجب وحيداً فريدا عاريا ، لا أنيس ولا معين فاخراج السيارة له وبيعه بيع الرقيق فى مصر فحنته بامرأة العزيز تدبر له الكيد وتمنعه عنها فسجنه السنين الطوال .

كل هذا وهو مستمسك بدينه وبشرفه وكرامته ووفائه وذمته ودأبه على الدعاء إلى الله فخروجه من السجن فتوليته على خزائن الأرض فقدوم أخوته مستجدين حنانه ، وهم لا يعرفونه .

فمداعبته إياهم فقدوم والده إليه بعد أن ابيضت عيناه من الحزن عليه وعلى أخيه فحرص يوسف عليه وسجود أبيه وأمه وأخوته له .

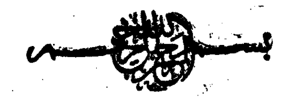
كل هذا مر بمخيلته فجاء يشكر الله تعالى نعمته عليه وما منحه من علم وملك داعيا الله عز وجـــل أن يتولاه فى الدنيا والآخرة وأن يتوفاه مسلما وأن يلحقه بالصالحين من آبائه الأنبياء كل هذا مر بقلب يوسف ثم رفع رأسه إلى السماء ونظر إلى أبيه وأمه وأخوته وقال لهم جميعاً : (هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا) وجعلنى حاكماً على مصر (بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين أخوتى إن ربى إذا أراد شيئاً أوجد أسبابه أنه عليم حكيم) .

ثم رفع رأسه ويديه إلى السماء العالية ، وقال بلسان فصيح وقلب خاشع : (رب قد أتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث)يذكر فضل الله عليه وبأنه أعطاه ملك مصر وعلمه تأويل الأحاديث(فاطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة) ، ناصرى ومتولى شئونى فى الحوادث الجمة التى صدرت على منذ صغرى حتى جلوسى على هذا العرش (توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين) .

أمتنى منقادا لأمرك ونهيك واقفا عند حدودك وألحقنى بالصالحين من آبائى فى منازلهم التى أعددتها لهم فى الآخرة .

فى هذه القصة الجميلة عبرة وموعظة حسنة وذكرى بليغة لكل ناظر إليها وقارئها ومستمعها لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب .

إبراهيم محمد عبيد



بدأت بحمد الله والحمد جنة ... به يتق العبد المكاره والضرر
وفى الحمد جاه للكريم ورفعة ... وقدر عظيم لا سواه له حضر
وسر خفى إذ به الله . قد بدا ... وأثنى به فى محكم الذكر والسور
ومن بعد حمد الله صلوا وسلموا ... على خير خلق الله من سائر البشر
محمد الداعى إلى خير شرعة ... بطلعته الغـــراء شق له القمر
فصلى عليه الله مرضات نفسه ... وارض عن السادات أصحابه الغرر
به نسئل الله العظيم توسلا ... ومن يسئل الله العظيم به انتصر
أسئله تيســـير ما أنا ناظم ... ويفتح لى باب المقالة والفكر
يسهل لى نظم القريض بمنـــه ... فـما زال منانا وللكسر قد جبر
ومن بعد هذا أيها الناس اسمعوا ... كلاما بفضل الله قد جاء كالدرر
فيا سائلى عن أحسن القول قصة ... وسيرتها تالله من أحسن السير
تسمع هداك الله منى قصيدة ... بفتح وتيسير من الله قد حضر
وأستمنح الله الذى يمنح العطا ... وللأرض والسبع السموات قد فطر
هى القصة الحسنى قصيدة يوسف ... ويعقوب والأسباط كالأنجم الزهر

يوسف عند أبيه

وذلك أن الله أعطى ليوسف ... من الحسن شطرا ما به البدر قد بهر
له نكهة أذكى من المسك ريحة ... وصورته تالله من أحسن الصور
وقد كان يعقـــوب النبى يحبه ... ويؤثره حبا على سائر البشر
ملازمه فى ليـــله ونهاره ... وساعاته فالبعد عنه فما صبر

واخوته فى الرعى طول نهارهم وعند المسا فى الليل دأبهم السهر
ولم يلتفت فى الحب إلا ليوسف وعن ما سواه من بنيه لقد صدر
واخوته لما رأوا ذاك اضمروا ليوسف شراً واللعين لهم أمر
وذاك لأمر قدر الله أن يكن فسبحانه من مالك جل واقتدر
ولما أراد الله اظهار أمرهم وما كان قدما فى الكتاب قد استطر
فبا بينما يعقوب للذكر جالس يسبح لله المهيمن ما فتر

رؤيا يوسف فى المنام

وفى حجره الصديق يوسف نائما بوجه له نور أضوأ من القمر
وفى نومه أبدى التبسم ضاحكا كمستبشر فى الناس قد بلغ الوطر
تعجب يعقوب النبى لضحكه وفى قلبه شأن عظيم لقد خطر
فقال له يعقوب وجهك ضاحك كمستبشر بالله يوسف ما الخبر
فقال له رؤيا رأيت وإنما لها نبا لا بد يبدو ويشتهر
فقال له بالله ماذا رأيتــه ألا فاقصص الرؤيا على بلا نكر
فقال له إنى رأيت كواكبا طرازا وقد عديتها إحدى عشر
رأيتهم لى ساجدين جميعهم ووافقهم فى ذلك الشمس والقمر
فقال له يعقوب رؤياك هذه لها نبــا يا يوسف سوف تختبر
عن الإخوة اكتمها ولا تبدها لهم ولا تفشها يوما لأنثى ولا ذكر
ولا تقصص الرؤيا على أحد وكن كتوما لهذا السر والحذر الحذر
ولا ينفع التحذير من أمر خالق له الحكم والتدبير واللطف فى القدر
فلما أراد الله إظهار أمره وليس لأمر الله رد إذا حضر
لقد نسى ما أوصاه والده به وقص لهم رؤياه حقا بلا نكر
على غيظهم غيظا ملا لقلوبهم لما سمعوا والكل للشر قد ضمر

فلما خلوا فى البر فيه تشاوروا ... وقد كان كل منهم قلبه انفطر
ومن حسد رابيل قد قال بعدما ... يقول لكم أنتم عبيدى كما ذكر
فيوسف معـــزوز وأنتم أذلة ... برعى وسقى والمتاعب والسهر
أما تنظروا يعقوب والدكم له ... يبر ويدنيه ولا لكم نظر
فلولاه مشغولا به كان مقبلا ... عليكم عشيا والصباح إذا سفر
إلا فاقتلوه يخل وجه أبيكم ... لكم وتكونوا بعده أصلح البشر
وإلا فطرحا وسط أرض بعيدة ... موحشة الأرجاء فى أضيق الحفر
فقال يهوذا إن هذى كبيرة ... إلا أن قتل النفس من أعظم الخطر
يسمى نبى الله وابن نبيه ... ومن يقتل الصديق ظلما فقد كفر
فقالوا له لا بد من بطشنا به ... ولو كان مهما كان منك من الغير
فقال لهم إن كان لا بد تفعلوا ... فالقوه فى جب به الماء قد ظهر
ويفعل به مولاه مهما أراده ... فإن شاء ينجيه وإن شا به ظفر
وقد عقدوا فى ذلك الرأى أمرهم ... وكل على هذا الحديث قد استمر
فجاؤا إلى الصديق يوسف شوقا ... وقالوا له قولا يلين له الحجر
فقالوا له هـــذا زمان لرعينا ... ونزهة أشجار من العشب والثمر
فلو خلت الأغنام فى البر ترتعى ... وقد فرحت من كثرة العشب والمطر
فقالوا له هذا زمان نتاجها ... وأولادها جاءت على أحسن الصور
فمن أبيض من أحمر ثم أصفر ... ومن أبلق ألوانها تدهش النظر
ولو خلتها عند العشية إذ أتت ... وقد فرحت أولادها خدنها أبر
وضجت بأصوات لها فى لغاتها ... وجاوبها إذ ذاك أولادها الأخر
ونحلب ألبـــانها من ضروعها ... ونجعلها ألوان للأكل تدخر
فلو شهدت عيناك فى البر فعلنا ... ونحن به نرتع ونلعب بالأكر
فقال لهم بالله قولوا لوالدى ... عسى أن يكن لى بالخروج لقد أمر

لجاؤا أباهم ناصبـين مكائداً ليوسف الصديق لم يدر ما الخبر
ومن حتف ألوانهـم قد تغيرت وجوههم فيها لقد بدأ الظفر
فلما عليه أقبل الكل سلموا وقالوا مقالا بالخديعة والمكر
فقال لهم يعقوب مالى أراكم بحال وقدا نكرتها غاية النكر
فقالوا له خيرا تراه وإننا لفى حالة غبها المسرة والخير
بأن أخانا يوسف قد أتى لنا وأدمعه تجرى على الخد كالمطر
وألقى علينا نفسه بتذلل له عبرة منها لقد حشرج الصدر
وقبل منا أرجلا ورؤسنا فإن نحن خلينا خاطره انكسر
وقال لنا بالله يا اخوتى إذا خرجتم غدا للرعى فى البر والحضر
فعكم خذونى أنظر البر والفلا ويذهب عنى الهم والغم والفكر
فإن شئت ترسله فارسله فى غد ليرتع ويلعب فى الفلا نزهة النظر
فقال لهم بالله ما تفجعونى بيوسف إن القلب عن ذاقد إنزجر
فقالوا لماذا قال رؤيا رأيتها كأنى أرى فى آخر الليل فى السحر
رأيت كأنى فوق عال كثيبة من الرمل فى واد خلى من البشر
ويوسف بالوادى بأقصاه واقف ومن حوله دارت ذئاب بلا وبر
وقد حاولوه يطلب الكل نهشه ومالى إليه من وصول ولا قدر
ومنهم حماه واحد إذ له حمى ومن بعدهذا غاب فى الأرض ما ظهر
وإنى ليحزنى بأن تذهبوا به ويأكله ذئب ويصبح فى خسر
ولم أستطع صبرا إذا غاب ساعة فكيف إذا سار النهار وما حضر
فقال له رابيل رؤياك هذه فليس لها تأويل عندى ولا عبر
وقال له الأولاد إذ نحن عصبة أيأكله ذئب وأنا لفى خسر
وساعدهم فى ذاك يوسف قائلا إلا أن هذا كان فى خاطرى خطر
سألتك بالله الذى رفع السما ومن انبع الماء الزلال من الحجر

فدعنى أسر ياوالدى مع أخوتى ... وسلم أمورى للقضاء والقدر
فإن قضاء الله ليس يرده ... إذا ما أتى حرص ولا ينفع الحذر
فصار يوصيهم عليه ودمعه ... على خده مثل المياه إذا انحدر
وقد ضمه يعقوب ضم مودع ... وقبله والقلب قد قدح الشرر
وقال لهم بالله عودوا بمهجتى ... ففى القلب نار كالمشاعل تستعر
وأعطاهم زاداً ليوسف غنية ... وكوزا من الماء المصفى من الكدر
وقال لهم كونوا به أشفق الولا ... يوقيكم الله المكاره والضرر
وإن عطش اسقوه وإن جاع أطعموا ... وكونوا كمن أدى الأمانة ماغدر
فإن هجرت شمس النهار فظللوا ... عليه بشىء حيث لا يطيق الحرر
فقالوا له سمعا إذا وكرامة ... سنحمله منا على الرأس والبصر
فصار يوصيهم ويمشى برفيقهم ... إلى أن عليه اقسموا قام وانتظر
على ربوة كانت هناك ولم يزل ... إلى أن تولى عنه وانقطع الأثر
فعادوا عليه عازمين لقتــله ... وقالوا له هذا حمامك قد حضر
وقد لطموه فوق خلقة وجهه ... ولم يلق يوم الضيق من ناصر نصر
تعلق فى أذيال رابيل صكه ... على وجهه ألقاه فى الترب فانعثر
وصار إذا ما يستجير بواحد ... يجد قلبه أقسى عليه من الحجر
دخل تحت أذيال الكبير واسمه ... يهوذا خيار القوم أحسنهم سير
وقال أجرنى ياأخى ياابن والدى ... اجارك رب العرش ذو العزمن سقر
ألا فارحموا ذلى ورقوا لحالتى ... ورقوا لمن ذاق المذلة فى الصغر
إذا كنتمو ظهرى وأولاد والدى ... فما حيلتى أن خان ظهرى وانكسر
وقال يهوذا عنــه لا تقربونه ... لعمرى فانى قد أجرت من أستجر
فقالوا له إن كنت خنت عهودنا ... وأخلفت عهدا سابقا بيننا صدر
فقد بان منك الغدر وانكشف الغطا ... وها كلنا من ساعد الغدر قد خسر

فإن كن أرجعناه يحكى الذى جرى   لوالده لم يبق شيئا ولا يذر
ويدعو علينا دعوة مستجابة   نصير بها فى الناس عبرة معتبر
ألا فاسعدونى فيه قد حار أمرنا   وضاقت علينا الأرض والسهل الوعر

يوسف فى الجب

وقال لهم نلقيه فى الجب مثلما   عليه تعاهدنا بعهد قد استمر
فلما دنوا للجب يلقـــونه به   وكل على إلقائه قلبه جسر
فقال يهوذا إن هذى عميقة   كثيرة آفات وحيطانها حجر
فإن نحن ألقيناه قبل وصوله   يموت وهذا قتل عمد لقد جهر
ولـكن ندليه بحبل لقعرها   فإن خيار الناس يعفو إذا قدر
فقالوا له والله ما ثم أحبل   فقام إلى شاة هناك وقد نحر
بدا سلخها فى الحال بل سلخ جلدها   وسواه حبلا مستطيلا بلا قصر
وقد نزعوا الصديق عنه ثيابه   فقام يهوذا عند ذاك له ستر
وقد أخذوا تلك القميص فعفروا   ومن كذب قد عفروه دما هدر
وقد أوثقوا الصديق بالحبل باكيا   ولـكنه عن ذكر مولاه ما فتر
ولما له أدلوا وفى الجب أرسلوا   قطع حبله رابيل جزما وقد بتر
فقال إله العرش لجبريل أدرك   ليوسف فى سرع كما لمحة البصر
فأدركه جبريل قبل وصوله   إلى قعرها لطفا من الله قد حضر
وكان بإذن الله فى الجب صخرة   من الصخر سوداوهى من أثقل الحجر
فطافت بإذن الله مثل سفينة   وعامت بوجه الماء كأن لم تكن حجر
فأجلسه جبريل باللطف فوقها   وقال له لا تبد شكوى ولا ضجر
وكن حامداً لله ربك شاكرا   وما خاب عبد للمهيمن قد شكر
تحركت الحيات لمـــا حسسنه   وكل من الحيات عن نابه كشر

فصاحت بهم من داخل الجب حية ... ألا فاسكنوا لا تخرجون من الوكر
فهـــذا نبى قد أتى بجوارنا ... أما تنظرون النور للجب قد غمر
فقالوا لها لابد من نهش لحمه ... ولو كان مهما كان من سائر البشر
فصاح بها جبريل فى الجب صيحة ... فصم بها آذانها أطمس البصر
فقال له بت آمناً متأنساً ... وكن صابراً ما خاب والله من صبر
ستخرج منـــه سالما ومسلما ... على يد قوم قاصدين إلى مصر
وتملكهم رقا وتحكم بأرضهم ... وتلبس تاجا بالمهـــابة والوقر
فهذا جرى فى الجب من أمر يوسف ... وإلقائه فيه وما بينهم شجر
ويعقوب لما أبطأوا حس قلبه ... فقام بإلحاح القضا يمعن النظر
وأولاده قد أقبلوا فى صياحهم ... ويدعونه بالويل أيضا وبالثبر
ولم يرى يعقوب إبنه يوسف أتى ... وألقى مغشياً على وجهه وخر
وأولاده جاؤا إليه وحركوا ... وقد كلموه لا يرد لهم خبر
وبان عليه الموت فى كل حالة ... فخافوا وكل منهم جلده اقشعر
فقال يهوذا بئس والله فعلنا ... قتلنا أبانا ذنبنا ليس يغتفر
فما زال مرميا على الأرض لم يفق ... إلى أن تقضى الليل قد حس فى السحر
تحرك يعقوب النبى وقلبـــه ... من الوجل يغلى ومن ضيق صدره نفر
فقالوا له رفقا بنفسك واستمع ... مقالة معذور أتى لك معتذر
أخانا تركناه بجنب متاعنا ... ذهبنا بسبق والقضا يغلب الحذر
نسيناه إذ عنه التهينا بسر حنا ... فيالك من حض كليل إذا اعتكر
فلما ذكرناه رجعنـــا بسرعة ... فلم نلق إلا بعض لحم قد انتثر
ولست تصدقنا ولو بان صدقنا ... كما بان ضوء الشمس فى الصيف واشتهر
وإن لم تصدقنا فهذا قميصه ... ولم ير تمزيقا وفى ريحه زفر
على أن هذا لم يكن ريح يوسف ... وأن الذى جاؤوا به كذب ظهر

فقال لهم يعقوب بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر على القدر
فقال لهم شمعون إن أباكم يكذبكم بالورد منكم وفى الصدر
ألا فاذهبوا فصطاد ديبا من الفلا وناتى ونزعم إنه لا بنه قهر
فغابوا قليلا ثم عادوا بسرعة بذيب من البر وهو فى الحبل مؤتسر
فقالوا له هذا الذى كان يأتنا مذير وللأغنام قد طال ما كسر
وهذا الذى يغشى مرارا متاعنا وهذا على كسر الفوارس قد جسر
فقال لهم يعقوب فكوا وثاقه وادنوه منى استمع منه ما ظهر
فلما له فكوا أتى بتذلل واطرق رأسا لم يكن منهم نفر
وقبل أقدام النبى بتأدب تعجب من تأديبه كل من حضر
فأنطقه الله الذى يعلم الخفا ويعلم خفى العبد إن سرأو جهر
فقال له إنى بريء من الذى تهمت به والحق قد بان واشتهر
وإن لحوم الأنبياء جميعهم محرمة طراً على الوحش والحشر
وإنى غريب من بلاد بعيدة ولى منذ عام ما استقريت فى حضر
أدور لى أخا عزيزا فقدته أدور عليه فى البرارى وفى القفر
ولا أدرى هل حى فأرجو حياته ويجمع شملى إذ تبدد وانتشر
والا يكن ميتاً فاسلو وارتجع بقلب حزين بالفراق قد انكسر
ومالى بهذى الأرض إلا بقدر ما وصلت فصادونى وهذا الذى صدر
فقال لهم يعقوب جئتم بحجة عليكم وبان الحق والسر قد ظهر
أذيب لفقد الأخ يفعل هكذا وأنتم أخاكم قد أضعتم به النظر
وعنهم تولى وهو بالحزن مكمد ولكنه عند المصائب قد صبر
فهذا جرى الذيب من أجل نطقه ونرجع للصديق تال على الأثر
ثلاثة أيام وقد قيل سبعة بهوة جب فى رواية من ذكر
وقد كان جبريل الأمين جليسه إذا أقبل الليل الدجوجى واعتكر

ومن حيث لا يدرى يواتيه رزقه ... على رغد عند الأصائل والبكر
وقد سخر الله الكريم بمنه ... بقافلة مع تاجر جاء قد تجر
من البعد قد جاءت تحث لعيسها ... على نجب جرد محبين للسفر
وقد نزلوا بالقرب من جب يوسف ... يريدون ورد الماء من ظمأ وحر
وقد أرسلوا بشار بالدلو يستق ... وبشار فى سرع تمنطق واتزر
وبشار ادلى دلوه متعجبـا ... لنور يرى مع ريح مسك بها عطر
فلما استقر الدلو فى الماء وامتلا ... تعلق فيه يوسف الخير واستمر
وحس به من حين ألقاه مثقلا ... فقام بعزم مع نشاط به وجر

بيع يوسف إلى مالك الخزاعى

ولما تبدا يوسف الحسن طالع ... وأبصره بشار بشر وابتشر
وسار به إذ كان خير بضاعة ... وخزن من الكنز الذى ملأ الدرر
وجاء به يعدو إلى نحو مالك ... فيالك من سعد لك اليوم يبتدر
وأخوته لما رأوا ذاك أقبلوا ... وكل له صوت كسبع إذا زجر
وقالوا له هـذا غلام وآبق ... وفى الجب عنا قد تغيب واستتر
فان شئتموا بيعا تريدون فاشتروا ... ونكتب ما قد بيننا كان قد صدر
على أنه لص وخوان آبق ... متى تغفلوا عنه مضى عنكم وفر
نعاهدكم عهداً بأن توثقونه ... بقيد وغل لا يفك إلى مصر
فقال ابن دغر مالك أنفقت مامعى ... ولم يبق إلا بعض شىء قد احتقر
فقالوا له بعنا بمها اشتريته ... فما ثم شىء غير يسر من العسر
وبالثمن البخس الدراهم عدها ... بعشرين جاءت فى رواية من ذكر
وقد كتبوا عهداً برسم خطوطهم ... على انه عبد وبالرق قد أقر
وقد كبلوه بالحديد مسلسلا ... بقيد وغلوا عنقه شبه مؤتسر

ولما أتى وقت ارتحال مطيهم   وشدت رحال العيس للسير والسفر
بكى يوسف الصديق عند ارتحالهم   بكاء مشوق فارق الأهل والوطن
فقال رئيس القوم ما كان ذا البكا   ومن ذا الذى تشكر فأخبرنى الخبر
فقال كبير القوم بالله يا فتى   على أى شىء كثرة الحزن والضجر
فقال لهم قصدى أودع سادتى   رمونى بسهم البيع والعبد فى الصغر
فقال لعبد أسود خذه وارتجع   لساداته يقضى هناك له وطر
فما خلت أقسى منهم لغلامهم   ولا مثله فى الناس خلت لهم أبر
فأركبه العبد الزنيم مطية من   الهجن تطوى البيدفى السهل والوعر
وسار به حتى أتى لمتاعهم   وأنزله يمشى وفى قيده عثر
وكان يهوذا ساهرا لحراسهم   ليسمع صوت القيد والزول بالنظر
فجاء كليث قد أتى لفريسة   وهم ببطش وعن نابه كشر
فقال له الصديق رفقا فإنه   عبيدكم المجور للنوم قد هجر
وقد جاءكم يبغى وداعا ويرتجى   لمالكه التسليم إن هم على سفر
يودعكم توديع من خاب ظنه   ومن بعد هيهات أنى لكم نظر
وكب على أقدامهم ودموعه   على خده تجرى من العين كالمطر
فقال لهم أقروا سلامى على الذى   على فرش جمر لا أقر ولا استقر
فأبكاهموا كلا وأجرى دموعهم   وكل له بالعذر قد قام واعتذر
وقد ألقت الأغنام ما فى بطونها   لهول وداع قد يذوب له الحجر
وأركبه العبد الذى قد أتى به   وسار به يقفو المطايا على الأثر
فجاز به يعدو على قبر أمه   فألقى عليها نفسه وهو فى كدر
فقال لها يا أم لو تنظرينى   أعالج بى قيداً لساقى قد كسر
وعن والدى قد أبعدونى أخوتى   وباعوا شروا كالعبد والكل لى حقر
وفى عنقى غل ثقيل حديده   وقد عاهدوهم لا يفك إلى مصر

إذا بأنين داخل القبر قائل ... أما لك اليوم من ناصر ينصر
فما التفت العبد الذى هو قائد ... مطيته إلا به جن واذعر
وعاد إلى أثر المطية راجعاً ... فألقاه باكى العين معتنق القبر
فقال له تدعو وتندب من مضى ... ومن تحت أطباق الثرى عظمه انتخر
لأمك تدعو تارة بعد تارة ... وتندب توديعاً وذا كله مكر
فهل كان قبل البيع هذا وأنه ... لمنك خداعا قد نرى بان واشتهر
وقد صدقت فيك الموالى بقولهم ... لأنك لص آبق خائن غدر
فبادره العبد اللئيم بلطمة ... على وجهه ألقاه فى الترب والعفر
فقال إلهى أخوتى يلطمونى ... ومن بعدهم الأسيود لى حقر
فإن كان تكفيراً لذنب جنيته ... لك الحمد يا مولاى يا خير من غفر
إلهى بالاسما وحرمة والدى ... سألتك صبراً فى الذى انفذ القدر
فثارت عليهم ظلمـــة وعجاجة ... وزلزال ورعد بلا مطر
وقد كسفت شمس النهار وغيمت ... كليل سجى والجو أظلم واعتكر
وقد أيقنوا بالموت من عظم ما رأوا ... ولا أحد منهم لصاحبه نظر
فقال كبير القوم مالك انزلوا ... وإلا هلكتم مثل عاد ومن غبر
ولا خاب ظنى أن فى الركب منكم ... مقيما على ذنب عظيم إذا أقر
إلا من يكن منكم له ذنب فليتب ... ويستغفر الله العظيم بما أصر
هنالك قام العبد منكس رأسه ... وقال أنا الجانى المسىء بلا نكر
غلامك هـذا أننى قد لطمته ... وشاهدته نحو السماء لقد نظر
ومد يده باسطا لدعائه ... وهمهم قولا لست أفهم ما ذكر
وما ارتد منه الطرف إلا وأقبلت ... رعود وبرق كاد أن يخطف النظر
ألا فاذهبوا قبل الهلاك لنحوه ... ونسأله صفحاً عن الذنب إذ غفر
وجاؤوا إليه كاشفين رؤسهم ... وكل له بالعذر قد قام واعتذر

وقالوا له قم واقتصص منه لطمة ... وإلا ثلاثا إن تشا أو نخذ عشر
فقال أنا ممن إذا ظلموا عفوا ... وطبعهم صفحا وأنا على الأثر
إلهى أزل عنهم عذابا يرونه ... وجد منك بالمعروف ياخير من غفر
فزالت بإذن الله عنهم زلازل ... وريح سموم والبوارق والشهر
وقد طلعت شمس النهار بسرعة ... وقد سكنت تلك الرياح من الممر
وبدلت الظلما بنور مشعشع ... ومن فوق غصن البان طائره هدر
وسار دليل الركب بالركب آمنا ... وغنى مغنى القوم من طرب وسر
وقد أصبح الصديق فيهم معظما ... وصار جليل القدر فيهم ومفتخر
وقالوا له والله لولا تقدمت ... مواثيق أيمان وفى نقضها ضرر
فككناك من قيد وغلك عاجلا ... ولكن علينا احلم لنوفى بالنذر
فقال لهم إنى صبور على الذى ... قضى خالقى فالحكم لله فى القدر
فقال ابن داغر والذى رفع السما ... ويعلم ما تحوى الضمائر والسرر
لأبذل مجهودى بإكرام يوسف ... وأسئله أن يدع لى دعوة الصغر
وساروا به كى يقطعون فدا فدا ... ويطوون هذا فى إياب وفى سفر
ولما دنوا من مصر قبل دخولها ... أناخوا حدا النيل المبارك واستقر
على شاطىء النيل المبارك طنبت ... خيامهمو والكل بالفرح استمسر
وفكت عن العيس الحمول وأرسلت ... وقد آمنوا من كل بائقة وشر
ويوسف الصديق فكت قيوده ... وقال ابن داغر ثم ادخل النهر
وغسله حتى زال كائنا ... على يوسف الصديق من درن السفر
وألبسه ثوبا من الخز ناعما ... وتوجه بالتاج فى أعين البشر
ومنطقة فيها اصطناع وحكمة ... مرصعة من دابر الرقم بالدرر
وطوقه من فوقها طوق عسجد ... وكحله من بعد تسريحه الشعر
واركبه من فوق ظهر مطية ... مزينة والنور للركب قد غمر

وقد طالعوا مصرا بيوم مغيم ... أضاءت به الحيطان كالبدر إذ بدر
وظنوا بأن الشمس قد طلعت لما ... يروا من شعاع النور فى البلد انتشر
وشاعت به الأخبار فى مصر كلها ... كذاك نواحيها أتى لهم الخبر
بأن ابن داغر قد أتى بتجارة ... وأيضا غلام نوره يخجل القمر
وأوعدهم أن المناداة فى غد ... على بيعه فالمشترى له من حضر
فجاءت إليه الناس من كل جانب ... كان لهم داع على الرغم قد حشر
وقد ملئت تلك الأزقة عالما ... ولم يبق فى مصر بها أنثى ولا ذكر
ولم يبق صعلوك ولم يبق ذوغنا ... ولم يبق مأمور ولم يبق من أمر
إلى أن أتى الميعاد حتى ملوكها ... كذاك عزيز القوم للوعد انتظر

يوسف عند سيده العزيز فى مصر

وعند صباح اليوم أصبح مالك ... وألبسه من كل لون قد افتخر
وجاؤا به ذار العزيز مزينا ... فطاشت عقول الناس واندهش البصر
ونادى المنادى من يزيد ويشترى ... غلاماً نبيلا زاد حسناً على البشر
فزايد فيه من يريد شراءه ... إلى ثمن يزداد فى العد والحصر
وقد سمحت فيه الملوك بما لها ... وكل نفيس فى الخزائن مدخر
وقال عزيز القوم إنى شريته ... بوزنه من كل شىء قد احتكر
من الفضة البيضا ومن ذهب ومن ... يواقيتها والمسك والند والدرر
وأصناف شىء قد تزايد وصفها ... ولكننى أقفو طريق من اختصر
فأما ابن داغر مالك مال قلبه ... إلى المال وانقادت جوارحه الأخر
فجاءوا بأموال وظنوا بأنها ... توازنه أوزان فى حزر من حزر
وقد وضعوا الصديق فى كفة وفى ... رفيقتها الأموال فى جملة الصور
فشحت عن الصديق جاؤا بمثلها ... وأمثالها مالا يوازنه الصخر

فشحت عن الصديق قالوا لمالك ... أهبناك أموالا لنا غير ما حضر
فأوهبهم إياه قالوا لمـــالك ... غلامك هذا فيه سر قد انتشر
فإن لم يكن هذا نبى وصالح ... وإلا له علم بسحر وقد سحر
من الناس أسئلة عن أبيه وجده ... ونسبته تبدو إذا صحة الخبر
فقال له بالله من أى نسبة ... وأية أجداد قل الحق واستقر
فقال له الصديق يعقوب والدى ... واسحق جدى والخليل الذى انتصر
على الأعور النمرود لما رمى به ... إلى ناره عادت سلاما كما ذكر
فقال له لم لا تقل ذاك قبل ما ... أبيعك إن المال عندى لمحتقر
وجاء إلى نحو العزيز مسائلا ... بأن يرد المال والبيع قد غدر
فقال له بالله إن كنت فاعلا ... وتغدر بعد البيع أنت الذى خسر
وأمرك بالغارات والنهب عاجلا ... ودارك من بعد العمارة تنتشر
فقال له إن كنت تأبى ارتداده ... فإنى أرد المال قل وإن كثر
فزاد به قلب العزيز محبة ... وردت له الأموال من بعد ما افتقر
وأما ابن داغر مالك ادع لى ... بنسل فانى قد خشيت من البتر
ولى نسوة فى منزلى قد جمعتهم ... وعدتهن اثنتان من بعدهم عشر
هناك دعا الصديق لله راغبا ... بقلب صفى من كل غل ومن كدر
لقد حملت فى العام كل نسائه ... وقد وضعوا عشرين مع أربعة عشر
وأما عزيز القوم جاء بيوسف ... لمنزله وازداد فخراً على فخر

يوسف وامرأة العزيز ومحبتها

وزاد به عزاً وقال لأهله ... زليخا أكرميه إنه زادنا فخر
فقالت له سمعاً وألف كرامة ... سأخدمه منى على الرأس والبصر
وجنت به حباً وزادت صبابة ... غراماً به حتى علا لونها الصفر

لسبع سنين وهى فى بحر حبها تكابد وجداً فطر القلب فانفطر

وقد نحلت جسما وزادت محبة وقد غيل منها السمع وانقطع النظر

فبينا زليخا فى تزايد أمرها وقدضاق منها الصدر وانقطع السحر

إذا بعجوز السوء قائلة لها بعد ما رأتها فى تحول وفى ضجر

تقول لها مالى أرى الغصن ذابلا عيانا وبعد الطول أصبح فى قصر

ونومك مأخوذ وعقلك ذاهل وحسنك مسلوب وقلبك فى فكر

ألا تخبرينى بالذى أصابك و لا تنكرى عنى وقولى لى الخبر

فقالت لها والله فى القلب علة وسر أخاف أفشيه لى يحصل الضرر

فقالت لها أفشيه ولا تكتمينه ولا تخشى منى فثلى من ستر

فقالت لها هذا غلام أحبه وهمت به عشقا وقد مسنى الضرر

وإنى إذا مارمت منه تقرباً يروم بعاداً كالغزال إذا نفر

فقالت لها من مالك مكنينى لأفعل فيه ما أشاء من الصور

وأرجو بهذا تبلغين مرادك ويجمعكم وصلا إلى آخر الدهر

فقالت لها مكنتك من خزائنى خذى ما تشائى لا تخافى من الفقر

فلا حاجتى فى المال من بعد مهجتى وقد تلفت والمال عندى كالحجر

فكم من عزيز ذل من بعد عزه وكم من غنى بعد إيساره افتقر

هناك عجوز الخبث جاءت بعالم له خبر بالسقم يؤتى ويختبر

فقالت له إنى أريد مهندساً حكيما وبناء وينحت من حجر

ثلاث إذا ما غاب منهن واحد تعطل باقيهم عن الفعل والدحر

ويحتاج بعضا منهم البعض دائما شبيهم كالقوس ليس له وتر

فغاب قليلا ثم جاء وقد أتى لها بالذى ترجوه من غير ما فتر

وجاءت بأحجار اليواقيت كلها وجزع اليمانى والجواهر والدرر

وجاءت بأنوعا الجواهر بعدها قوارير أكواب ثمين من الحجر

فقالت لهم بيتا أريد بناءه　　يحير به طرف اللبيب إذا نظر
يرى ظاهرا منه إذا كان باطنا　　وينظر منه باطنا من يكن ظهر
وتبنون فيه مجلسا فيه حكمة　　مطلسمة تخفى على من له نظر
فقاموا بتجهيز لذلك كله　　بسمع وطوع لاخلاف لمن أمر
وقد أحكموا بيتا بتدبير حكمة　　تجول به الأحجار كالماء فى النهر
ومن بعد هذا أحضرت بمعلم　　خبير بعلم السحر والنقش والصور
وقالت له صور زليخا ويوسف　　بجانبه فى أكمل الزى والنظر
بألوانهم واللبس والشكل كله　　على من يرى لا يشكلان إذا نظر
وبه لهم متعانقين لبعضهم　　له اللثم بالأفواه ثغر على ثغر
فلما قضى وأتقنه رأت　　جميع الذى قد دبرته من المكر
وجاءت زليخا وهى جالسة على　　سرير بذاك البيت من غرر الدرر
وقد ألبستها حلة بعد حلة　　مصورة بعد الخلاخيل والسور
وفى عنقها طوق بعشرين دوه　　بها قد أضاء البيت كالشمس والقمر
وقد كحلت منها العيون وأرسلت　　على صدرها منها ذوائبها الأخر
وقد ألبستها التاج أيضا مرصعا　　جواهر شتى قد يحير بها النظر
محلية أطرافها من زبرجد　　مضمخة من خالص الطيب ما عطر
وجاءت إلى الصديق يوسف جالسا　　ببستانها يشتم من أطيب الزهر
فقالت له اسرع لمولاتك التى　　دعتك إلى بعض الحوائج فابتدر
فلما أتى للبيت هم بدخوله　　وشاهدها فى الحال قهقر واقشعر
فقالت له أنظر لوجهى نظرة　　فقال لها أخشى العماية فى الحشر
فقالت له امدد بيمينك والتمس　　فقال لها أخشى تغل على سقر
فقالت له أطعنى قال ليس بواجب　　أطيعك وأعصى الله أتبع من كفر
فهمت به فعلا وهم بتركها　　وفى ذاك برهان من الله قد حضر

فى ذلك البرهان أن خلافهم · يقول رأى طيراً على كتف الخدر
يقول لا تفعل السوء واعتصم · فاسمك فى ديوان النبوة مستطر
وقيل رأى يعقوب عاضا بنانه · وقال له رؤياك والحذر الحذر
وقيل رأى من جانب الدار قدبدا · ابرهانه كفاية النور قد ظهر
يقول له لاتفعل السوء واتبع · طريقــة آبائك الطهـــر
فقال لها ماذا فقالت خشيت أن · يرانى ولى استحيت من الحجر
وولى يريد البيت ناشت قيصه · وقد جذبته جذبة منه انفزر

العزيز ويوسف وزليخا قرب الباب

وجاء لنحو الباب الفاه مقفلا · ومن خلفه تسمى زليخا على الأثر
وقد الفيا بالباب سيدها وقد · رأته وقالت ذا جزآء الذى ابر
فقال لهـــا ماذا الذى أتنا به · فقال له والله عيشك طهر
تزرع فى أرض تخيب زراعها · فكم باذرا أرضا أضاع الذى بذر
غلامك هـذا أنه قد أرادنى · بسوء قبيح بالاساءة والصغر
فقال له والغيظ فى وجهه بدا · أهذا جزاء الخير تبدى له بشر
أمنتك فى أهلى ومالى وبعد ذا · تخون وهذا منك من أكبر الكبر
فن خجل قــــد كالمت وجناته · حياء ومن [illegible] رشح له عرق قطر
فقـــال له إنى برىء وإننى · لمعتصم بالله [illegible]
فقال له من أين تأتى بشاهد · يبريكما إنى شككت [illegible] ظاهر
رأيت [illegible] زيقة [illegible] وبحالة · تسوء وإن الصادق [illegible]
فقال له [illegible] خاب [illegible] · أساءت وعن نفسى تراودنى جهر
ولى شاهد فى البيت من أهلها وهو · صدوق [illegible] لا يتبع الحذر
فقال له هل كان فى البيت واحد · سوى [illegible]

شهادة الطفل ليوسف وبراءته

ولكنه طفلا رضيعاً بمهده   وشاهدته ينظر لها نظراً اشتهر
فقال له إنى رضيت بهـــذه   شهادة هذا الطفل من أكبر العبر
فقال له الصديق ياطفل بالذى   أقامك من ضرع به الدر قد ظهر
وحنن قلب الوالدين تحننا   وسواه من ماء مهين قد انهمر
تخبره ماذا جرى كان بيننا   وينطقك الله الذى أنطق الحجر
تنحنح ذاك الطفل قبل كلامه   وثنى بحمد الله ثم نه شكر
وقال له أن بالقبض دلائل   مبينة لاتخف على من له نظر
فمن قبل أن كان قـــد قميصه   فقد صدقت فى قولها وهو متنر
ومن دبر إن كان قد قميصه   فقد كذبت إفكا وعنها بدأ الدبر
فلما رأته قـــد من دبر وقد   بدأ الحق وضاحا كما الصبح إذ سفر
فقال لهـــا إن النساء ظوالم   وينكرن فعل الخير والود والعشر
أترمى بريئاً بالذى تفعلينه   ورميك بالبهتان والزور قد أقر

النسوة ويوسف

وأن نساء فى المدينة لمنها   على فعلها والقول فيها لقد كثر
وهن نساء من أكابر قومها   ذوات أصول اسن ممن قد احتقر
يقلن زليخا أنها ذات حكمة   أيحدث فيها العيب يالك من خبر
فلد سمعت بالمكرمنهن أرسلت   اليهن أن يأتين بالعز والوقر
وقد فرشت دارا لها بعد رشها   بماء من الورد الممسك والعطر
فلما لها جئن قامت ورحبت   وأبدت تحيات كما النظم للدرر
فجاءت بأقداح على عدد النساء   كذلك سكاكين على عددهن آخر
فقالت لهن إن جاء يوسف هاهنا   فنطعمه ألا ترج والعطر له شطر

فقامت إلى الصديق وألفته جالسا　　فقالت له ألبستنى العار وانتشر
ونكستنى للأرض بين عشرتى　　وألبستنى ثوب المذلة والصغر
ولست على فعل بكى يعذرونى　　ويبطل عنى القيل والقول والعير
فقال لها إنى مطيع وسامع　　إذا كان فعل المعائب قد ظهر
وقد ألبسته حلة بعد حلة　　مطلسمة بعد الخلاخيل والسور
وقد وشحته بالوشاح الذى لها　　طراز له نور من الذهب انتشر
وقد ألبسته التاج أيضاً مرصع　　جواهر شتى قد يحير بها الفكر
وقالت له أخرج عليهن يوسف　　وسلهن أن يطعمنك الحمض والثمر
فجاء كبدر لاح فى أفق السما　　له قامة تسبى عقول الذى نظر
فلما له أبصرن طرن خواليا　　من العقل لم يفهن شفعا ولا وتر
وصرن حيارا باهتين لنحوه　　وقطعن أيديهن من شدة الحير
وقد ضحكت من فعلهن زليخة　　وهن سكارى لم يفقن من السكر
فقالت لهم رفقا بأنفسكم ولا　　تقطعن أيديكن واغضضن للبصر
فهذا الذى كنتم تلومونى به　　عليه وإن الحق كان كما ذكر
إلا أنه أن لم يطعنى ويعتصم　　لأسجننه سجنا يذوق به الضرر
فقالت لهن اشفعن لى عنده عسى　　يلين ولو نحوى يشاهد بالنظر
فقامت إليه الكل تفدى بنفسها　　وتدعوه لم تدعو لجارتها الأخر
فقال إلهى كانت واحدة وقد　　بقين كثيراً من أين لى منهم المفر
إلهى فاصرف كيدهن تفضلا　　بمنك عنى أنت أكرم من ستر
إلهى فإن السجن أطيب مدخلا　　وأليق لى مما له يدع من حضر
دعا فاستجاب الله منه وأنه　　يجيب دعا المضطر لمن مسه الضرر
ومن بعد رؤياهم قديم بدا لهم　　بأن يدخلوه السجن ظلما وينتصر
ولما رؤوا الآيات آياته التى　　تبدت كبدر التم فى أربعة عشر

دخول يوسف السجن

وجاءت زليخا فى تكامل زيها ... إلى الملك الريان تخطر فى خطر
كذاك عليه استأذنت فى دخولها ... فلما عرفها بالدخول لها أمر
فلما عليه أقبلت ثم سلمت ... فقام لها معه المجالس من حضر
فقال لها أهلا وسهلا ومرحباً ... ببنت كريم الناس ذو العز والفخر
فلما استقرت بالجلوس تكلمت ... وأبدت تحيات كما النظم للدرر
فقال لها هل حاجة لك أقضها ... ولو أنها شطراً من الملك يشتطر
فقالت تبقى زماناً مخلداً ... بملكك معزوزاً مؤيد منتصر
ولكن فتاك قد عصانى تحججاً ... كما عند فقد اللحم قد جمع المهر
أريدك تدخله بسجنك صاغراً ... ذليلا وتلقيه إلى أضيق الحفر
فقال لها سمعاً لديك وطاعة ... وأرسل فى سرع إليه وقد حضر
فقال له تعصى لمولاتك التى ... أياديها عمت ومعروفها غمر
وأحضر حداداً وأحكم قيده ... وأدخله سجناً والقاه فى حفر
ولكنه قد سر عند دخوله ... لبعد عن الفحشا ولله قد شكر
وقد سخر الله الكريم بمنه ... له كل من كان فى السجن قد حضر
فكان يسليهم ويذهب حزنهم ... بحسن حديث لايمل وإن كثر
وعلم تأويل الأحاديث حكمة ... إذ قال قولا جاءه نحو ما ذكر
يبين لهم عمالهم يأتى فى غد ... من الأكل وأشياء كما النقش فى الحجر
وتأويله الرؤيا بحسن عبارة ... تصيب ولا تخطى وفى علمها مهر
وقد كثرت خيراته وتواترت ... على أهل ذاك السجن كالغيث إذ مطر
ومن بعد ضيق الحال والجهد والعنا ... ترادفت الأيسار واندفع العسر
وكل الذى فى السجن أمسى يحبه ... وقد كرهوا منه الخروج إلى الوطر
ويوم من الأيام طل بكرة ... لينظر أبناء السبيل ومن عبر

إذا بغلام فوق بكر يحثه ... وينشد أشعاراً بها القلب قد شعر
فقال له ناشدتك الله أن تقف ... فامسك عنان السير واحبس البكر
فقال له هل حاجة لك يافتى ... إن استطعت أقضيها على الرأس والبصر
فقال له بالله من أى بقعة ... وأى بلاد كان مأواك والمقر
فقال له من أرض كنعان لى بها ... آباء وأجداد حديثاً ومدثر
فقال وهل تدرى بكنعان شرعة ... من الشجر المخبور من أطيب الثمر
وقد طهرت أصلا وفرعاً ومنبتاً ... وأغصانها من بعدها اثنى عشر
قد فقدت منهن غصنا وأصبحت ... لذاك تألمها وقد مسها الضرر
فقال الفتى سبحان ربى هذه ... صفات نبى الله يعقوب ذو البصر
فلما وعى الصديق ذكر أبيه لم ... يكن يتمانع طاح كالميت حين خر
ومن بعد إغماء ودمعه ... على خده يجرى من العين كالمطر
فقال له بالله كيف تركته ... فقال على حال يسيء لمن نظر
تهدمت الأركان منه وقدها ... وصار نحيل الجسم معوج الظهر
وعاجل فيه الشيب قبل أوانه ... ومن كثرة الأحزان قد فقد البصر
وقد هجر الأوطان والأهل والحما ... ومغناه من بعد الأنيس لقد قفر
على تل كنعان بنى البيت مفرداً ... وسماه للأحزان بيتاً وللحسر
فقال له منى تؤدى رسالة ... تنال بها خيراً إلى آخر الدهر
وتغنم منه دعوة مستجابة ... لتنمى لك الأرزاق فى مدة العمر
فقال له ماذا الرسالة يا فتى ... فقال سلاماً كالجراد إذا انتشر
سلام على المكظوم من عندوا له ... غريب بعيد الدار قد مسه الضرر
تراوده الأحزان من كل جانب ... ولى بفراق الأهل قلب قد انفطر
فقال له الفتى سبحان ربى من يطق ... يؤدى إليه ذاك خيفة ينعقر
فقال له إن جئت يوما مؤدياً ... فامهله فى جنح الظلام إذا اعتكر

لوقت قيــام الأنبياء لوردهم | يناجون ربا ليس يدرك بالبصر
إذا جئته فالطف به بتأدب | ورفق لطيف الذوق ملتزم الوقر
فقال أو أدى ما معى من رسالة | عسى دعوة من عند يعقوب تدخر
فجاء كما أوصاه إذ كان فاعلا | وناوله منه الرســالة ما فتر
فقال له يعقوب بالله يا فتى | أشاهدته بالعين تحقيق بالنظر
وشاهدت خالا طال ما قد لثمته | على خده باد كما نقطة الحبر
فقال له فى الحال عنه فإن تسل | فقد مسه الأحزان والهم والضرر
فقال له دعنى أكون مقبلا | عيونا رأت روحى وألثمها عشر
فقبــل يعقوب النبى عيونه | وقال له سل ما تشاء وتستخر
فقال له اسئل إلهك يغننى | بمال وأولاد مع الفوز فى الحشر
فنال الذى يرجوه لما دعا له | ومن بعد هذا صار أربح من تجر
وقد دخل السجن الذى فيه يوسف | فتايان خبــاز وخمره عصر
وقد عاشروه مدة وهو بينهم | يعبر رؤيا بينهم تشرح الصدر
يؤول رؤيا من رأى فى منامه | فتأتى صحيحا كالذى كان قد حضر

رؤيا الســاقى

فقال الفتى الساقى وشاهد رؤية | بها صار مسروراً فقدم ما اختبر
رأيت كأنى آخــذ لى ثلاثة | عناقيد أعناب كذاك لها عصر
وألوانها بيض وحمر وأسود | وسواه خمراً فهو فى الحال قد خمر
فقال له تبق بسجنك لابثاً | ثلاثة أيام وتخرج مستمر
وترقى سريعاً بالتقرب ساقياً | لربك خمراً أيما محضر حضر

رؤيا الخباز

وقال الفتى الخباز أيضا فإننى رأيت مناماً كان تعبيره عبر
رأيت تنـــانير ثلاثة ملأت من الخبز قرصان من الظلمة اختمر
وأن على رأسى طباقا حملتها وقد شخصت نحوى الخلائق بالنظر
وكانت طيور الجو تأتى فوقها وتأكل منه ماتشاء وتستطر
فقال له تبقى بسجنك لا بثا ثلاثة أيام وتخرج مزدجر
وتصلب فى جذع من النخل عاليا ويأكل طير الجو منك إذا نقر
فقال له ما خلت شيئا وإننى لممتحن ناداه قد نفذ القدر
وللناجى أذكرنى يقول ولا تكن لربك ناس يوسف حين تختبر
فعاتبه جبريل فى الوحى قائل أتترك ربا يرزق الدود فى الحجر
ونجاك من كل المكائد والردى وتسأل مخلوقا لربك قد كفر
وقد نسى الساقى وصية يوسف وذاك لأمر بالقضاء وبالقدر
وقد بقى الصديق فى السجن لابثاً لبضع وإن البضع سبعا إلى عشر
فلما أراد الله إفراج ضيقه ويذهب عنه الغم والهم والأسر
إليه أتى الروح الأمين مبشراً بخير وقال أبشر فقد فزت بالظفر

رؤيا الملك

ففى ليلة الآتى عليك مسائل يرى الملك الريان رؤيا لها سير
وأنبئه مما يرى قبل وقته وعلمه تأويل بسر بلا جهر
وتلك كرامات بها الله خصه ومعجزة تعلو وتسمو وتشتهر
ولما أتى الليل البهيم وقد دجا بعسكره يجرى وقد نام من سهر
إذا الملك الريان نحو فراشه نؤوم على متن الأسرة مستقر
وقد غرقت عيناه فى النوم ساعة وفر كمرعوب من النوم والمذعر

وأحضر من فى القصر من علمائها … وكهانها من ينجم واختبر
وقال لهم إنى رأيت عجائباً … ورؤيا يحير الطرف فيها مع الفكر
رأيت كأنى جالس فوق شاطىء … من النيل فى مرج بهيج من الخضر
وطرفى إلى النيل المبارك ناظر … وأمواجه تترى وفى تارة حسر
إذ ضربت أمواجه وتميزت … وقد قذفت للبر سبعاً من البقر
سمان عليهن رونق وبهاجة … وألوانها محمرة غاية الحمر
وقد ملئت شحما ولحماً وأضرعت … وقد ملئت تلك الضروع من الدرر
وسبعا مهازيلا عجافاً فوازعا … وأعينها زرق تميل إلى صفر
خراطيمها مثل الكلاليب شنعة … وألوانها غبر ويرهقها قتر
وقد أكلت تلك السمان جميعها … ولم يبق شيئا فى البطون ولا الظهر
ومن بعده قد خلت سبع سنابل … ممليه حب وهم خضر فى النظر
وسبعاً إذا من سنبلات يوابس … وهن بلون القار فى لون السمر
وفى هذه أفتونى أيهـــا الملأ … برؤياى إن أحد لها منكمو عبر
فإن لم تجيبونى بماذا سئلتكم … بتسويلكم لم أبق منكم ولا أذر
فلما لهم قد قال ما قال أبهتوا … وبعضهم للبعض خوفا لقد نظر
وقالوا لنا أمهل ثلاث لياليا … تؤجلنا حتى بها نمعن النظر
فأجلهم فيهـــا وأمهلهم إلى … ثلاثة أيام كذا قيل فى الأثر
ولما خلوا قالوا لبعضهم لقد … رمينا ببحر ليس يعرف فيه بر
لرؤياه تأويل بعيد وكلنـــا … جهلنا لها والله ما أحد لها شعر
إذا ما جمعنا فى غد ما نقل له … فقد قرب الميعاد والوقت قد حضر
فلما له جاوا فقال انبؤنى … برؤياى إن القلب منى قد انفطر
فقالوا له هذا أوان الذى به … تساقطت الأوراق عن سائر الشجر
فليس بها رؤيا تصح وإنها … لأضغاث أحلام وليس لها عبر
وما نحن بالأحلام يوما وعلمها … نحيط ولسنا للعلم فيها على قصر

الساقى ويوسف

وقد علم الريان إذ ذاك عجزهم ... وهم بهم سوءاً ولكنه عذر
وقال الذى قد كان فى السجن إذ نجا ... انبئكم تأويل ذاك وقد ذكر
وقال له من يؤوله لنا ... وقال فتى فى السجن تعبيرها عبر
بسجنك مسجون بظلم وإنه ... لفى علم التعبير بحر إذا زخر
فإن لم يعبرها فلم تلق غيره ... ولو درت طول العمر فى البر والبحر
إليه فارسلنى أقص عليه ما ... رأيت من الرؤيا وآتيك بالخبر
فقال له ارجع له غير وانيا ... فعند امتحان المرء يبلى ويختبر
فجاء له الساقى وقد كان مستحى ... بنسيان ما أوصى إذ ذاك وادكر
فدق عليه الباب إذ جاء مسرعا ... ومبتسما زاه من الثغر
فقال له أهلا وسهلا ومرحباً ... بمن جاء يسئلنى عن السبع البقر
سمان وعن سبع عجاف هوازل ... وقد أكلت تلك السمان فلم تذر
وعن سبع من سنبلات نواعماً ... وآخر سبع يابسات لتدخر
وتأويله تأتى سنين خصيبة ... وعدتها سبع كذا الله قد ذكر
كثيرة خيرات ورزق ونعمة ... تنوع عشب الأرض من سائر الشجر
ويكثر جرى النيل من كل جانب ... وتهمى إذ ذاك عين السحائب بالمطر
وتخصب أرض الله شرقا ومغربا ... وينبت زرع الحب لو كان فى حجر
فيأمر حراث البلاد بحرث ما ... له شمل النيل المبارك واغتمر
ويجهد فى زرع له بكماله ... ولا يبق لو شبراً من الأرض مابذر
فيأمر عمار البلاد بحرثها ... على الزرع لا يبطون ذاك من فتر
ويبنون بيتا للخزائن موسعاً ... بكل أقاليم له سعة الجدر
ومن بعدها تأتى سنينا جذيبة ... كثيرة قحط ليس فيهن من خير
وعدتها سبع شداد وأنها ... لتأكل ما قدمتموه من الذخر

تغيض عيون الماء من كل منبع ... وتعقم فيها الأرض يخسر من بذر
ولا تمطر الخضرا على الأرض قطرة ... ولا تنبت الغبرا حشيشا ولا شجر
ويعقم فيها النحل حتى إناثها ... تبدل ذكرانا إذا فسد الثمر
وجدب أرض الله شرقاً ومغربا ... ويهلك بعض الطير والوحش والحشر
تهب رياح ليس فيها خيرة ... وأكثر أهل الأرض يفنون بالدهر
وتشتد أسعار المأكل بالغلى ... فعند غلى الأسعار قد وقع العسر
فمن هذه السبع الخصيبة يدخر ... على قدر ما يكفيه فى السبع الأخر
ويخزنه فى قشر سنبله فنى ... اذاك له أبقى متى شئت له حضر
ويأتى زمان بعده لك خيرة ... ففيه يغاث الناس يعصر من عصر
وجاء له الساقى وأخبره بما ... له يوسف قد قال فأعجب وابتهر
وقد ظال فى تدبيره وأموره ... وصار عليه الرحب كالسم من إبر
فقال له ارجع عاجلا وأتنى به ... أخيره بين الإمارة والوزر
وقد وجب الإكرام منى له بما ... به كشف الأغما وأظهر ماظهر
وبين أشياء ليس تخفى وأنها ... قد اتضحت منه كما الشمس والقمر

أيسجن هذا أو يشان بزلة ... فكم سابق بالخير من عجل عثر
أربك فاسئله يسل حال نسوة ... تقطعن أيديهن من دهش عهر
فهل كان لى إذ ذاك فيهن رغبة ... ويعلم ربى ما يسر وما يجهر
فجاء له الساقى فأخبره بما ... له قد رأى من أمره أطره خطر
وقد أرسل الريان يحضر نسوة ... فقال لهم قولا لهن به نهر
فقال لهن ما خطبكن بيوسف ... تراودنه عن نفسه فهو فى أمر
له قلن حاش الله والله إنه ... عن العيب والفحشاء من دنس طهر
عفيف نظيف ما علمنا عليه من ... دلائل سوء قط أو عيب يذكر
فقالت زليخا زوجة لعزيزهم ... لقد حصحص الحق المبين واشتهر

ألا أنني راودته وهو صادق بما قاله والأمر كان كما ذكر
ليعلم ربي أنني لم أخونه بغيب وأن الله لايهد من غدر
فقال نبي الله عن نفسه وما أبرىء نفسي حيث بالسوء تؤتمر
وقد كان معصوماً بعصمة ربه ولكنه استعصم برحمة من غفر
وقد ثبتت عند العزيز وغيره براءته حقاً كما الصبح إذ سفر

يوسف عند الملك

وقال الملك من وقته أئتني به لنفسي أستخلصه من سائر البشر
وقد فرش الدرب الذى منه قد أتى حرير وديباج من السجن للقصر
وقال لهم ائتو به وهو جالس على عجل من فوق قائده تجر
مكرم معزوز وبالجاه زائد على الناس تفضيلا وبالعز والوقر
وقد أقبل الصديق فى خير هيئة فقام له الريان مع كل من حضر
وأجلسه الريان فوق سريره بجانبه والخلق تزحم كالحشر
وحياه تكريما بخير تحية ومن بعد ترحيب به قام للفخر
وقال له ما الرأى فيما ذكرته وقد تهت فى أمرى وعالجنى الخبر
وكيف أسوس الناس أعوام شدة تعم على كل من البدو والحضر
فقال له اجعلنى لذاك أكن على خزائن أرض الله أكفيك كل شر
فإنى حفيظ بالمطاعم والذى عليه ولكنى أكيل لمن بذر
خبير بأحكام السياسة كلها وذاك تدبير الذى جل واقتدر
فقام بشرط بينهم وأمانة وعهد وميثاق يؤكده أمر
فرد عليه الملك عند نفاد ما يمر من الأعوام وهى أربعة عشر
وقال له الريان أنت محكما علينا المطاعا من كبير ومن صغر
ألا فاشهدوا يا أهل مصر جميعكم على ذا من غاب منكم ومن حضر

بأنى من الملك اعتزلت وأننى ... مطيع لهذا داخل تحت ما أمر
فقالوا جميعا كلهم قول واحد ... رضينا به فى اليسر منا وفى العسر
وشاعت به من الأخبار فى مصر كلها ... وفى كل أقليم أشيع به الخبر
وقد مكن الله العظيم ليوسف ... وبوأه فى الأرض حتى لها عمر
فسبحان رب يؤتى الملك من يشاء ... وينزعه عما يشاء كما ذكر
ومن شاء من بين العباد أعزه ... ومن شاء منهم قد أذل وقد قهر
ويولج فى الليل النهار وعكسه ... ومن صلب أحجار جرى الماء وانفجر
ولما تولى يوسف أقبلت ... سنين الرخا والشر عنهم لقد دبر
فأول شهر حل أول سبعة ... من الخصب أنهل السحائب بالمطر
على الأرض حتى أنبت البر بالكلا ... وفى كل روض غرد الورق فى الشجر
ففاضت مياه النيل حتى بها التقت ... جميع أراضى مصر رياً لها غمر
وقد زرعوا زرعا كثيراً وأخصبت ... بحسن نبات زاد فى الخصب فى القفر
وعند نضاج الزرع قبل حصاده ... تبدى صلاحا زاد عن وصف من شعر
ففرق عمار البلاد جميعهم ... بشرق وغرب فى الصعيد وفى الثغر
وعلمهم كيف التصرف والذى ... يكن جمعو اللزرع دابا وقد حصر
وكان بنا للهدم قبل وشاده ... ومنها ممن يغل من البشر
فما زال هذا دأبه طول سبعة ... وقد ساعد التدبير والحزم قد عمر
على أن ملأ الأطام خزاناً بسنبل ... شعير يكن قوتاً لذلك ثم بر
ومن كل شىء فى الشدايد والرخا ... نفوس الورى تصبو إليه وتفتقر
وقد أحكم الأشياء بتدبير حكمه ... على وفق ما يأتى وساعده القدر
إلى أن مضت تلك السنين وأقبلت ... على أثرها السبع الشداد التى ذكر
فلما بها قد كان أولها ليلة ... بها بدأ الإملاق والجوع والفقر
وقد نزل الروح الأمين منادياً ... يا أهل أرض الله جوعوا كما ذكر

فما انتبهوا إلا وقد كان كلهم ... يضجون من جوع لأمعائهم ذعر
وعند صباح اليوم قد أصبح الورى ... يموجون والإيسار قد أبدل العسر
وست عيون الأرض قد غار ماثها ... وكل رياض قد تبدل بالقفر
وأمسكت الأرض النبات فلم يرى ... حشيشاً ولا نبتاً يكون من الخضر
وبعض وحوش البر قدمات بالطوى ... وبعض هوام الأرض قدمات والحشر
وبعض طيور البر قد خر واقعاً ... إلى الأرض من جوع ومن ضعف وخر
وضاقت رحاب الأرض عن كل سالك ... ومن طلب الأرباح فى متجر خسر
وقد نفذ الزاد الذى كان عندهم ... وصار غنى القوم أفقر مفتقر
ولم يبق فى كل البلاد بأسرها ... طعام سوى ما كان يوسف قد ذخر
فأول عام قد شروا بدارهم ... من الفضة البيضا ومن ذهب حمر
وثانى عام قد شروا بحليهم ... وما ملكوه من متاع ومن مهر
وفى ثالث الأعوام بأنعامهم شروا ... نياقا وخيلا ثم من غنم وبقر
ورابع عام قد شروا بديارهم ... وماملكوه من بيوت ومن عقر
وخامس عام قد شروا بنفوسهم ... وأولادهم من كل أنثى ومن ذكر
فصاروا جميعاً كلهم تحت رقه ... عبيد له من تكبر أوصغر
وغلق أبواب المدينة كلها ... مدينة مصر بل تحصن بالجدر
وواقف بالأبواب من يعرف الذى ... أتى من بعيد أو قريب إذا عبر
مخافة أن يأتى إلى مصر أهله ... كجملة من يأتوا ويفيدون ماشعر
وآخر باب ليس يدخله سوى ... غريب بعيد الدار قد جد فى السفر
وأوصى الذى بالباب يعرف من أتى ... إذا كان إنساناً ويأتيه بالخبر

يوسف وأخوته فى مصر

ويوسف من الأيام قد جاءه الذى ... بكل غريب قد توكل وأتمر

وقال له قد أقبل اليوم فتية ... بإقبالهم نور المهابة قد ظهر
عليهم وقار قد علتهم سكينة ... ومن أرض كنعان وعدتهم عشر
فقال له أدخلهم على برأفة ... وتعظيم قدر لاتكون كان بطر
فلما عليه أدخلوا كان عارفا ... لأخوته حقا وكل له نكر
فرق لهم لما رآهم وقد رثى ... لحالتهم والدمع من عينه قطر
وقال لهم أهلا وسهلا ومرحباً ... وذاك بلفظ الترجمان الذى حضر
فأدخلهم دار الكرامة عازماً ... عليهم وبالإحسان والخير قد غمر
وقال لهم أبناء عم كأنكم ... فبعضكموا شبه إلى بعض فى النظر
وقالوا له بل نحن والله إخوة ... لأم وأب طاب أصلا وقد طهر
فهل خلفكم أخ لكم من أبيكم ... فقالوا لنا منه أخ يخجل القمر
وأصغرنا سنا وأطيب نكهة ... وأكثرنا نوراً وأحسننا سير
فقال لهم فأتوا به فى إيابكم ... إذا جئتمونا تطلبوا الزاد والمير
فإن لم به تأتوا فلا تقربونى ... ولا تطلبوا كيلا يكال من الصبر
وليس لكم عندى حوائج أقضها ... ولا عذر مقبولا لمن منكم اعتذر
وقالوا نراود عنه أباه عسى يكن ... يلين لنا يوما ويبلغنا الوطر
وجهزهم تجهيز من هو محسن ... وقال لهم قولا خواطرهم جبر
وقال قولا خفيا لفتيانه اجعلوا ... بضاعتهم جوف الرحال الذى نظر
لعلهم يأتوا إذا وجدوا لها ... وكلا لها عند الوجود لها سير
وقد فرحوا لما استمروا لأهلهم ... وزودهم حملا وزادهم بكر
وساروا وجدوا فى المسير برفقة ... وهم يقطعون البيد فى السير والسهر
إلى أن أتوا كنعان وابتهجوا بهم ... وجوه أهاليهم ومن لهموا نظر
وقد فرح الأهلون عند قدومهم ... وقد أثر الجوع المشوم بهم وضر

إخوة يوسف عند أبيهم بعد عودتهم من مصر

وجاؤا أباهم يخبروه بما جرى ... وكل بأفعال العزيز له شكر
وقالوا له من بعد ما أقسموا له ... بمن عنده السر الخفى وما ظهر
لقد منعونا الكيل لولا عهودنا ... بأن سنأتى بأخينا من السفر
فقال عليه هل آمنكم كمثل ما ... أمنت على أخ له يا ذوى العبر
ولكن ربى خير واق وحافظ ... وليس لنا بما قضى الله من غير
وقد فتحوا فى الحال أمتعة لهم ... وقد وجدوا فيها البضاعة فى صرر
فقالوا يا أبانا ما نبغى هذه ... بضاعتنا ردت إلينا لكى نمر
بها عنده إذ ليس نملك غيرها ... فتلك الأمارة والمسرة والخير
نمير بها أيضاً ونحفظ ثانياً ... أخانا ونزداد الكيالة واليسر
فقال لهم والله ما أنا مرسل ... له معكم إلا إذا كلكم حضر
فقالوا يميناً واثقا ومغلظاً ... بمن أنبع الماء الزلال من الحجر
بأنكموا تأتوا به فى إيابكم ... فأوفوا بعهدى يابنى السادة الغرر
ولكنه استثنى مخافة إذ بهم ... يحيط أمور ليس تدفع فابتدر
بلفظة إلا أن يحاط بكم وقد ... أزال بها ما جاء للقوم بالفكر
فجاؤا له كلا وآتوه موثقا ... ونيتهم صفواً عن الغل والكدر
فقالوا له والله على ما نقوله ... وكيل علينا فى السر آثر والجهر
وقال لهم يعقوب بنى تسمعوا ... وصية من أوصى بنصح ولافتر
إذا جئتموا مصر هنالك تفرقوا ... وذلك شىء فى الخواطر قد خطر
ولا تدخلوا من باب واحد وكلكم ... وادخلوا من أبواب متفرقة مصر
وذلك فى التفريق عند دخولهم ... مخافة من عين الحسود إذا نظر
وما كان ذاك الأمر والله مغنهم ... من الله من شىء ولا يدفع القدر

ولكنها حاجات نفس وإنه قضاها كذا فى ذكر خالقه ذكر
وجاؤا إلى الصديق يوسف ثانيا وكان لهم من طاقة القصر قد نظر

يوسف وأخوه بنيامين

وشاهد بنيامين وهو رفيقهم فسر وهو فى أخذه كان قد ضمر
وأدخلوا دار الضيافة عازماً على الأخذ منهم بالتحيل والفكر
وعند الغدا بادأهم بطعامهم بست صحاف فيهم طيب الثمر
وقال ليقعد كل أثنان أخوة أشقاء من بطن كذاك ومن ظهر
على صحفة قاموا إذاً وتوثبوا تخلف بن يامين إذ ذاك واذكر
أخاه فغاضت بالدموع عيونه ولا مدكفا للطعام بل اتخر
وقال إذا واسؤاتى أسفى على أخى يوسف لو كان ذا اليوم قد حضر
أكلنا جميعاً لم أكن متخلفا فريداً وحيداً بالتأسف والحسر
لقد هد هذا القول منى جانبا وحميت ظهرى بعد صحته انكسر
فقال له الصديق مالك يافتى وهل لك أخ غائب عنك ينتظر
فقال له والله قد كان لى أخ يفوق علينا بالجمال ويفتخر
فقدناه واشغفنا برؤية وجهه فياليت أدرى أى أرض بها أقر
بكى يوسف الصديق عند سماعه وقد حس أن القلب منه قد انفطر
فقال له ترضى أكن لك يافتى مكان أخيك اليوم خير أخ أبر
فقال لنعم الأخ لكن لم تكن ليعقوب تنسب ياله من أب طهر
فوافقه الصديق بالأكل جالساً بصحفته كى يجبر القلب فانجبر
وقد حسدوه إذ رأوه موافقا لمالك مصر فى المآكل والمقر
فشبه بن يامين فيه وقد بقى له لاهياً لا يغضض الطرف بالنظر
وكان له فى رأسه خير شامة تضئ كدرى من النجم فى السحر

وقد رفع الصديق للتاج ناسيا　　فشاهدها تزهو كنجم إذا زهر
وكان ليعقوب النبي كمثلها　　فحقق بن يامين ذالك وما نكر
وقد عرف الصديق ذلك منه فى　　بشاشة وجه والسرور الذى ظهر
فقال له إني أخوك فطب وكن　　قرير عيون واكتم السر فى الصدر
ولا تبتئس يوما بما فعلوا ولا　　تلم أحداً واصبر فما خاب من صبر
وعند ارتفاع للطعام دعوا اه　　وكل بأفعال العزيز له شكر
وقد أقبل الصديق بالوجه نحوهم　　وكان حجاب بينهم ثم واستتر
وقال لهم قد أعجبتنى وجوهكم　　على كل من يأتى من البدو والحضر
وأثاركم أثار أبناء نعمة　　وللخير والنعما بألوانكم أثر
فأبناء من أنتم فقالوا آبائنا　　هم أنبياء الله من أخير البشر
فقال لهم يا أطيب الناس نسبة　　بقى منكموا أحدأم الكل قد حضر
فقالوا له جئنا جميعا فما بقى　　سوى من أكله الذئب قدما وقد دثر
فقال نبى يأكل الذئب لحمه　　فحاشا فقد أنكرتمو غاية النكر
وفى قولكم إفكا وكذبا وأننى　　أسئت بكم ظنى وقدركم هدر
وعندى صواع بالأمور مخبر　　لحل الأمور المشكلات قد ادخر
وأحضره للقوم حتى ينظروا　　وخاف بأن السر يفشو وينتشر
فمن ذهب قد كان وهو مرصع　　جميعاً بأنواع الجواهر والدرر
له نظر يزهو بأحسن بهجة　　يخيل أن النور منه قد انفطر
وكان عزيزاً عنده لانتفاعه　　لكيل طعام واستفاء ويختبر
وللصاع باليسرى تناوله وبال　　يمين له فى ذلك الحد قد نقر
فطن طنينا عاليا وهو ناصت　　إلى صوته حتى تهوس وانبهر
فقال لهم أن الصواع يقول لى　　مقال طويل الشرح لكنه انحصر
يخبر أن الأنبياء جدودكم　　وما قلتموا صدقا سواء بلا غير

وأن الأخ المفقود فيه كذبتم   وجئتم بزور القول والإثم والبور
حسدتم أخاكم إذ أبوه يحبه   وقد نزغ الشيطان بينكمو غير
وخنتم أباكم فى أخيكم وأنكم   أسأتم وأن المكر دمر من مكر
وفى الجب ألقيتموه تبغو هلاكه   فأنجا رب العرش منه وقد ظهر
قهرتم له بعد الظهور وبعتموا   ببخس الثمن وأشراكمو له مستطر
ومن بعدهذا ليس تدرون ماجرى   أحى هو أم ميت بالحكم والقدر
وأن أباكم بعده متألم   حليف سهاد بعده للكرى هجر
ومن بعد هذا القول أوهم أنه   يريد بهم سواء وعنهم لقد دبر
وكلمهم تكليم من هو مغضب   وشدد فى التكليم للأمر والزجر
وقال لهم لابد من صلبكم على   جذوع على أبواب مصر ليعتبر
بكم من يراكم لا يعود لمثلكم   وأجعلكم أحدوثة آخر الدهر
فلما لهم قد قال ما قال أقبلوا   على بعضهم لوما بدمع لقد غزر
وبين يديه بالخضوع تذللوا   وكلا من الخوف الشديد قد ابتهر
وقالوا له أيها الملك الذى   بإحسانه من قبل كان لنا غمر
تفضل علينا بالإنابة رحمة   وأسبل علينا الستر مثل من ستر
وأنت إذا أهلكتنا إن خلفنا   نساء وأطفال كبار وفى صغر
ويموتون من جوع وإن عدادهم   ثمانون نفسا للبيارة تفتقر
بحرمة يعقوب النبى وإنه   لأفضل من فى الأرض من أهل ذا العصر
تحقق فيك الظن جزماً وإننا   ظننا بك الخيرات ليس بها نكر
لترحم أطفالا صغاراً ونسوة   خاصاً طوى ما بين أنثى ومن ذكر
كفاك بها إثما بأصغر عيالنا   يخولك الله الكفالة فى الحشر
فإن لم يكن يغنى عليك خضوعنا   ليعقوب أكرمنا لعلك تنتصر
فقال لهم إنى لأعلم أن ما   على الأرض ذو فضل كيعقوب فى البشر

وإنى لإكرامى له مكرم لكم | وأرجو به فوزاً إذا الخلق تنتشر
وودعهم خيراً وخلى سبيلهم | وبدل عنهم ذلك القول بالمير
ولان لهم من بعد عفو ورحمة | وإصلاح شأن ثم من بعده أمر
بإنجاز تجهيز فأوقر عيسهم | حمولا ورب العرش يعلم ماضمر
وفى رحل بنيامين دس سقاية | ولا أحد منهم بذلك قد شعر
فقاموا بتجهيز وشدوا حمولهم | وهموا بإظعان وباتوا على سفر
وعند صباح اليوم صبحهم قرى | وزودهم زاداً ولم يخش من فتر
فقال لهم سيروا وامضوا وارشدوا | فساروا بإسراع وماكذبوا خبر
وقد وكزوا العيس فى حزة السرى | وكانت كسهم فارق القوس والوتر
وقد جعلوا مصراً خلاف ظهورهم | بعشرة أميال كذا قال من ذكر
وقد عرضوها البر فى سيرها وهى | تموج بهم موج السفينة فى البحر

نداء أعوان الملك إنكم لسارقون

وبيناهم فى فرحة فى مسيرهم | كفرحة طير كان فى قفص وفر
إذا بخيول خلفهم قد توثبت | كوثبة غزلان لها صائح نفر
وصاح مناديهم وأذن قائلا | ألا أيها العير الذى قد حوى العير
على رسلكم والله قد بان أنكم | لصوص وسراق وبعضكم غ ر
وأوقف حادى العيس بعد مسيرها | وأمسكها عن سيرها بعد مازجر
وقال له ماذا الذى تفقدونه | فقالوا صواعا ما وخد ناله خبر
وإنى لمن يأتى به متكفلا | بحمل بعير وهو من خالص المير
فقالوا له ماجاء من نسل جدنا | غلول وسراق ولامن بغى وعثر
وفى الأرض ماجئنا لنفسد جهرة | ونهتك حرمات لها الله قد ستر
فقال لهم ماذا يكون جزاؤكم | إذا ما وجدناه بمشهد من حضر

فقالوا له من كان ذاك برحله ... سيوخذ جهراً بيننا بعدما غدر
وقالوا كما قال العزيز جزاؤه ... كذلك نجزى الظالمين كما ذكر
وقد بدأ التفتيش قبل وعائه ... بأوعية البانين ثم لهم شكر
فما وجدوا شيئاً وذلك بعدما ... بهم أمعن التفتيش بطنا مع ظهر
فقال لهم سيروا فقالوا له بقى ... وعاء بن يامين ففتشه لاتذر
بقلبك شيء واقع الشك وارتجع ... بحسن يقين ما عيانك كالخبر
وقال لهم سيروا فإنى ظلمتكم ... ومنكم تيقنت الأمانة معتذر
فقالوا له لابد من ذاك لاتطل ... فلابد من فعل كفعلك بالآخر
فقال لهم إن كان لابد أنى ... سميع مطيع لاخلاف لمن أمر
فلما فتحها صاح بالناس صيحة ... وعض على بعض الأنامل ثم خر
على الأرض ميتاً وهو يبدو تحيلا ... بهم لقلوب الحاضرين لقد بهر
ومن بعد إغماء أفاق وأخرج السقا ... ية جهراً بعد ماكروا فتكر
فلما رواها أقبلوا وتلجلجوا ... ومن خجل بعض لبعضهم نظر
وجاؤا إلى الصديق فى سوء حالة ... عليهم رحاب الأرض أضيق من شبر
وقالوا لئن يسرق فإن له أخ ... سروق عدا فى أهله واعتدى مرر
فلا تعجبن من لينه فى كلامه ... فكم مائع قد كان فى أصله حجر
فلما وعى الصديق ذاك أغاظه ... ولكنه بالحلم كان قد اتزر
وكان كظوم الغيظ لم يبدها لهم ... ولكنه فى النفس كان لها أثر
وقال لهم أنتم شر مكانة ... ولامثلكم فى الناس بل أنتموا أشر
فقالوا له ياذ العزيز بملكه ... ولازلت معزوزاً وذنبك مغتفر
إلا أنما والله إن له أباً ... فضيلا وأحناه التوهن والفكر
نخذ أيها الحبر العزيز مكانه ... حدانا وأرخصنا به وأغنم الأجر
فقال معاذ الله أن نأخذ الذي ... تبرأ ونترك من خيانته جهر

وما نأخذ إلا من وجدنا متاعنا كذا عنده جهر وفى الخدر ما استتر
أفى شرعكم هذا يجوز وحكمكم أم الله فى شىء من الكتب قد أمر
فقال يهوذا نجتهد فى خلاصه على رغمهم كرها ونجعلها دثر
وإنى لها أبوابها وهى تسعة على كل باب واحد منكم نظر
وإنى لما فى قصره من جنوده ولو أنهم مثل الجراد إذا انتشر
إذا ما سمعتم صيحتى فتوثبوا على من يليكم فأوضعوا فيهم البتر
وكان يهوذا شعره عند غيظه إذا ثار من أثوابه يبدو كالإبر
ويقطر منه الدم من شد غيظه ويهبط من يعقوب لمن مسه بشر
فأبطأ عن ميعاده فتخوفوا عليه بأنه صابه حادث الغير
فجاؤا جميعاً كلهم واجتمعوا وقد سبحت أفكارهم منه فى بحر
ولما أتوا وافوه فى الأرض جاثما وقد هبط الغيظ الذى فيه قد دفر
وقالوا له ماذا القعود وذا الونا أفى مثل هذا اليوم تغلب فى عذر
فقال لهم لا شك عندى بلا خفا بأن من بنى يعقوب من سكن القصر
لقد جاءنى من مسنى ببنانه غلام كمثل البدر يوماً إذا بدر
فقالوا له من ذا الذى قال أمهلوا ولا تضجروا مهلا فقد خاب من ضجر
وقد أرسل الصديق فى الحال خلفهم وأحضرهم فى القصر مع كل من حضر
وكان بجنب القصر فى الدار دكة بطود عظيم من حديد ومن صخر
وقد وكز الصديق تلك برجله فطار كحذف المنجنيق إذا نثر
وقال لهم أنتم تظنون إنما على الأرض من يقفو عليكم من البشر
فلما رأت تلك الفعال عيونهم تلاشوا وكلا من حدادته انكسر
وقد صغرت عند الفعال نفوسهم كما صغر الباعوض عن مدرج النسر
وقال لهم لا بد من أمر صلبكم وأحضر للقوم الحبال من البكر
فلما رأت تلك الحبال عيونهم تباكوا بدمع كالغدير إذا هدر

وقام يهوذا عند ذلك قائلا … لهم طال ما قد كنت عن ذاك فى حذر

وخوفتكم عقبى الذنوب وشومها … إلا أن عقبى الشوم والذنب للبور

وقد أخذوا فى الحزن دأبا وفى البكا … وقد أيقنوا أن الحمام لهم حضر

ولما رأى الصديق يوسف حالهم … وذلتهم بين الأعارب والحضر

بكى يوسف الصديق عند بكائهم … ورق لهم لما بدا منهم العبر

وقال لقد أوجعت أكباد إخوتى … وحملتهم هما يذوب له الحجر

وإنى لموجوع إذا هم توجعوا … وأشكر من فى الناس يوما لهم شكر

فقال لهم رفقا فإنى رحمتكم … لأجل نبى الله يعقوب ذو البصر

وأحضر للقوم المطى بروسها … مكومة معلوفة وهى فى القصر

وقد لحظتهم بالعيون وإنها … لتعلم أن القوم فى همم السفر

وقد دومت لما رأتهم عيونها … وحنت كثكلى ألفها مات وانقبر

تباكوا بكاها ثم حنوا حنينها … وقد علموا أن الحنين لهم أسر

وقال لهم سيروا ومنى تحملوا … سلاماً كعرف المسك يوماً إذا انتشر

إلى الوالد المكظوم يعقوب بلغوا … سلام مشوق لا يغيره الدهر

فجاؤا مطاياهم وهموا بحثها … على الجادة البيضا وتعريضها السفر

فقال يهوذا وهو كان كبيرهم … ألم تعلموا علماً يقيناً بلا نكر

بأن أباكم آخذ ومؤكد … عليكم مواثيقا مغلظة بالقدر

بأنكموا تأتوا به فى إيابكم … وقد نفذ المقدور والأمر مشتهر

ومن قبل ما فرطتموا فى أخيكمو … أخذتم عليه يا ذوى الخون والغير

فلن أبرح الأرض الذى أنا قاطن … بها ومقيم ما بقيت إلى الحشر

وإلا يإذن الله يأذن لى أبى … ويحكم خير الحاكمين بما أمر

ويفرجها بعد المضيق بمنه … ويأتى بتيسير ويدفع العسر

ألا فارجعوا من وقتكم لأبيكموا … وقولوا له قولا كما الله قد ذكر

بأن بن يامين ابنك قد سرق ... شهادة علم حين فاتها النظر
وإن لم تصدقنا فسل عير نا الذى ... أتينا بها سيراً لكنعان من مصر

ذكر سرقة صاع الملك ليعقوب وأن أخاهم هو السارق

فجاءوا أباهم أخبروه بما جرى ... فزادوا بكاء وانتحابا به اكتثر
فقال لهم يقوب بل سولت لكم ... نفوسكموا أمراً فصبر على القدر
على الله رب العرش أن يأتينى بهم ... جميعا ويجمع شملنا بعد ما انتثر
وعنهم تولى وهو يبدو تأسفا ... على يوسف والقلب فى غمد انغمر
من الحزن مبيض سواد عيونه ... وبدل من بعد الضيا ظلمة البصر
وقالوا له تفتؤ تذكر يوسف ... وتحزن فيمن فى الثرى عظمه انتخر
فقال لهم بثى وحزنى شكيته ... إلى الله من للكسر منى قد جبر
فقال لهم يا بنى إلا اذهبوا ... تحسسوا فى الأرض لا يأويكم مقر
وعن يوسف فى كل أرض تحسسوا ... كذاك أخيه واسمعوا قول من أشر
فقالوا له سمعا لديك وطاعة ... وقد قصدوا مصراً وليس بهم ضجر
وجاؤا إلى الصديق يوسف ثالثا ... وقد دخلوا للقصر بالإذن والأمر
فقالوا له ياذا العزيز بملكه ... فإنا وأهلونا لقد مسنا الضرر
وجئنا ووافينا ببعض بضاعة ... إلا أنها مزجاة قد غالها الحقر
فاوف لنا كيلا وكن متصدقا ... فأنت لفعل الخير ذا اليوم مقتدر
وفى قولهم مزجاة قد قيل أنها ... سويقا وسمنا أو من الصوف والوبر
وأبدوا له ذلا وبالقول لينا ... لكى يعطفوه والمدامع تنتثر
فقال لهم أنتم فظاظ أشدة ... غلاة قلوب وهى أقسى من الحجر
أهلا علمتم ما فعلتم بيوسف ... ومن خط رابيل لقد كان مستطر
وأسفلة قد كان رشم خطوطهم ... بأسمائهم لا يستطيعون له نكر

وقال لهم اقروا الكتاب تعلموا   حقيقة أمر كان مخفى وقد ظهر
فلما قروا ذاك الكتاب تيقنوا   بموت وقالوا قد بقينا على خطر
وفى كل مكروه وقعنا بجرمنا   وفى كل ضيق لا براح ولا مفر
وقد وصلت أخبارنا وفعالنا   إليه فهذا أخسر السير والسفر

معرفة أخوته لأخيهم يوسف

فلما رأى الصديق يوسف حالهم   ماج عن الوجه اللثام وقد سفر
فقالوا له ياذا كأنك يوسف   فقال لهم إنى أنا هو بلا نكر
وهذا أخى قد من ربى بجمعنا   وهذا جزا من يتق الله إذ صبر
فخافوا بأن يسطوا عليهم لغيظهم   به من قديم إذ لزلتهم ذكر
فقال ألا خوف عليكم ولا جزا   قصاص فلا تثريب فالله قد غفر
لكم ذلك الله الكريم فإنه   غفور رحيم للقبائح قد ستر
وأدخلهم فى القصر فى خير غبطة   وكلهم والحمد لله قد جبر
وزاد لهم عوا على عزهم وهم   لقد شرفوا فخراً وزادهم فخر
ولما استقروا بالمكان جميعهم   ومن ترح بدلوا فرحا وسر
وقال لهم يا أخوتى أن خلفهم   ذرارى ضاعوا بالمجاعة والفقر
ألا فارجعوا من وقتكم بمنازكم   وهذا قميصى سر فيه مدخر
بوجه أبى ألقوه عند اجتماعكم   يرد عليه من فضله البصر
ومن أرض كنعان بأهلكم ارحلوا   جميعاً ولا تعطون نأياً ولا فتر
وأكد فى استعجالهم لرجوعهم   إليه ولا من خلفهم يتركوا نفر

قميص يوسف وإلقائه على يعقوب

وعند انفصال العير للأرض أرسلت   رياح لها الله المدبر قد أمر

لتحمل فى تسخيرها ريح يوسف ... ليعقوب فى سرع كلمحة البصر

فقال لهم إنى أجد ريح يوسف ... يهب كمسك فاح من نسمة السحر

فقال له من حوله أنت لم تزل ... مقيم على ما أنت فيه من السكر

وقد قال يعقوب يا بنى ألا اسمعوا ... ألا لا تلوموا واعذرونى كمن عذر

فإن له حبا تمكن فى الحشا ... ووجد على مر الجديدين ما فتر

فبينما هم فى ذلك أقبل راكب ... على ناقة هيفاء تخفق كالصقر

وذلك قد كان البشير أتى له ... فصاح بأعلى صوته حين ما اشتهر

نحوسك قد ولت يقول وأقبلت ... سعودك تزهو فى مطالعها الغرر

وولى زمان الهجر والبعد والقلى ... وجاء زمان فيه قصدك والوطر

وهـذا قميص فيه سرك أنه ... قميص نفيس لا يحاك على النسر

وقد له من جنة الخلد قد أتى به ... وجاء به جبريل قد قيل فى الخبر

فعند خليل الله يوم رمى به ... إلى النار بالمنجنيق له نثر

مكيدة نمروذ الذى قد أتى بها ... وساعده إبليس فيها بعقد مكر

فألبسه إياه وهو على الهوى ... فعادت بإذن الله برداً بلا شرر

سلاماً وبرداً قوله كان حرها ... أضر خليل الله من شدة الحرر

وألبسه جبريل فى الجب يوسف ... فنجى من شر المكائد والنصر

فألقاه يعقوب النبى بوجهه ... فصار بصيراً بعد ما كان فى ضرر

ولأولاده لما رأوا ذلك أخجلوا ... وخافوا دعاءه حين كان لهم نظر

فقالوا له استغفر لنا ذنوبنا ... أبانا فهذا كان فى اللوح مستطر

أبانا أسأنا والإساءة قد بدت ... وإنا اعترفنا لا تؤاخذ من أقر

فسوفهم فيها وأوعدهم بها ... لوقت إجابات الدعا ساعة السحر

وقد أرسل الصديق مائة ناقة ... لتجهيزهم والزاد والسير والخبر

به يستعينوا فى رحال ظعونهم ... وأنعم بتجهيز الملابس للنظر

فقاموا لإجهاز وشدوا رحالهم ... على كل عوجا جيد مفتولة الوبر
وفى ليـلة راحـوا ومدوا كأنهم ... قطيع نعام خائف الزول قد نظر
وأوطانهم فى أرض كنعاز قدعفت ... وأضحت لوحش البرمأوى ومستقر
وقد قصدوا مصراً وبالسير أمعنوا ... نهاراً وليلا فى السهول وفى الوعر
فلما بقى ما بين مصر وبينهم ... مسيرة يوم للمجدين فى السفر
إذا غرة الصديق فى خير عسكر ... لهم بهجة بمثل الربيع إذا زهر
بمـاية ألف قيل كان عدادهم ... وقد لبسوا من كل لون قد افتخر
وكانت عليه حلة عند ميـة ... عليها شعاع يلمع كالنور فى القمر
يخيله الرائى إذا بان ضوءها ... مشاعل نار فى زجاج قد استعر

يوسف وأبوه يعقوب فى مصر

فلما رأوه بالعيون تصايحوا ... وصاح بأعلى صوته كل من حضر
ترجل إجلالا إلى الأرض يوسف ... ترجل كل الجيش من أجله وقر
وقد جاءه يمشى على الأرض يوسف ... يهرول فى ممشاه فى الخطو ما فتر
كذاك نبى الله يعقوب قد أتى ... إلى نحوه يسعى وفى ذيله عثر
وقد ضجت الأكوان لما تلاقيا ... كرعد عظيم للسحاب لقد زجر
وقد ضمه يعقوب ضم تلهف ... وقبله فى الوجه والصدر والنحر
ويلحسه عند اللقا بلسانه ... كما تلحس العجل الشفوق من البقر
وقد ضجت الأكوان لله بالثنا ... وضجت وحوش البر والحوت فى البحر
وضجت طيور الجو من كل جانب ... بحسن لغات تطرب السمع كالزمر
وتضطرب الأغصان من كل دوحة ... تمايل شوقاً إذا تزع فى الشجر
وكان لهم يوماً عظيما شهوده ... يلين قلب المرء لو كان من حجر
ولما أتوا مصراً وقد زينت لهم ... بألوان بحباح ومن ذهب حمر

وقد نصبت فيها الموائد للقرى ... وأقر جميع الجيش لما لهم نحر
ولما أتو للقصر والعرش قد رقى ... وقد نظموا العقد الذى كان مختبر
وخروا على الأذقان لله سجداً ... وكلهم للوجه فى الترب قد عفر

خاتمة القصة

وقال نبى الله يوسف أنها ... لتأويل رؤياى التى خلت فى الصغر
وقد جعلت حقا وقد صدق الذى ... بتأويلها قد قال لما عبر
فلله رب العرش حمداً على الذى ... من الملك آتانى وما ليس ينحصر
وأحسن بى بدءاً وعوداً وصحة ... والقلب بعد الكسر بالملك قد جبر
وجاء بكم ربى من البدو بعدما ... قد انتزع الشيطان ما بيننا وغر
وعلمنى التأويل منه تفضلا ... لك الحمد يا من للسموات قد فطر
وصل إلهى دائماً سرمداً على ... محمد المبعوث من صفوة البشر

تمت بحمد الله وتوفيقه

تطلب من المكتبة الوطنية
لصاحبها : فاروق إبراهيم عبيد
بالمنامة / البحرين / الخليج العربى .

الفهرس

صفحة